



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



عنوان المذكرة:

البعد الاجتماعي في مقامات السرقسطي (ت 538هـ) -دراسة نماذج مختارة-

مذكرة ضمن متطلبات الحصول على شهادة ماستر أكاديمي في الشعبة الأدبية
تخصص: أدب عربي قديم

إشراف:

د. صبرينة بوسحابة

إعداد:

- حنان شعاب

- هاجر سكاني

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
حياة زروال	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
صبرينة بوسحابة	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
حسيبة شكاط	أستاذ محاضر "أ"	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

✓ من رافقني في هذه الدنيا وعلمني معنى التحدي أمام الصعاب... إلى

من تعب وسهر على تعليمي... إلى (أبي العزيز)

✓ إلى من حملتني وهنأ على وهن... إلى وطني الآمن... بلسم

جروحي... من زرعت في قلبي بذور الفضائل ومكارم الأخلاق... إلى

(أمي الحبيبة)

✓ إلى بهجتي وسروري... ومأوى سعادتي وراحتي... إلى أختاي عزيزات

قلبي... إلى حبيتي (أنوار).. وإلى جميلتي الصغيرة ومدلتي (سارة).

✓ إلى سندي في هذه الحياة... إلى تاج رأسي وقرة عيني...

(زوجي: خليل)

✓ إلى أعز صديقة أنعم الله بها علي... رفيقة دربي (خولة)

✓ إلى جميع صديقاتي الغاليات... (رندة، أسماء، أميمة، ملاك، هاجر)

✓ إلى جميع أفراد عائلتي: (شعاب وبن عبد القادر)

✓ إلى جميع الأساتذة الذين شرفت بهم طوال سنوات دراستي...

✓ إلى كل من قدم لي يد المساعدة في إنجاز هذا العمل...

حنان

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

✓ من هرم لرؤية وصولي.. قدوتي... وملكي... ونبراسي...

((أبي الغالي))

✓ إلى قلب كعود المسك كلما احترق فاح شذاه، إلى عينين كانتا سرّ الإلهام

((أمي الحبيبة))

✓ إلى قوتي وضلعي الثابت الذي لا يميل (أخي هيثم)، وإلى ضماد روحي

وبلسم جروحي (أختي خولة)، وإلى بهجة البيت (غفران).

✓ إلى من فارقتني إلى دار البقاء... الذي طالما رافقتني بدعائه

(جدّي رحمه الله).

✓ إلى كلّ من كان لهم أثر طيّب على حياتنا، وإلى كلّ من أحبهم القلب

ونسيتهم القلم.

✓ إلى كلّ من ساعدني في إنجاز وإتمام هذا العمل...

هاجر

مَقْتَمَة

شغل فنّ المقامة حيّزاً مهمّاً في الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة؛ ذلك أنّها تُشكّل رصيّدًا حقيقيّاً للحياة الاجتماعيّة بكلّ أبعادها وأشكالها، فهي ترجمة أمينة لعلاقة المجتمع بالأدب وتصوير واضح لحياة النّاس وديناهم، فقد أعطت فكرة عن طبيعة الأوضاع الاجتماعيّة المختلفة، و ما كان يسود المجتمع من ألوان المحن وما تخلفه تلك الأزمات من أصداء وآثار في نفوس النّاس، وأسهمت في إغناء ثقافتنا الأدبيّة وطبعها بطابع مميّز جميل. وقد كان لظهورها أثر واضح في حركة الأدب العربيّ إلى عصور متأخّرة، ولعلّ زمن الأندلس من أهمّ المحطّات التي انتشر فيها فنّ المقامة بشكل كبير. ثمّ إنّ ما ميّز فنّ المقامة أسلوبها الخاصّ، فهو ذو لغة فصيحة يغلب عليها السّجع؛ حيث يظهر فيها الأديب براعة لغويّة وأدبيّة، وتعتمد على بطل وراوي غير موجودين على أرض الواقع؛ لأنّ الهدف منها وغايتها ليس البطل أو الحدث، إنّما هدفها تدريس و تعليم اللّغة والبيان و التدرّب على الأسلوب الجميل في الكتابة. من منظور آخر فإنّ المقامة من الفنون الأدبيّة التي تزيح الهمّ عن النّفوس، بما ترسمه من بسمة في الشفاه، فهي تنتقل بالقارئ ما بين الجدّ والهزل، وبذلك تتركه بعيدا عن الهمّ والحزن وتلعب أيضا دورا بارزا في التعبير عن قضايا الشعب والمجتمع وما يعانيه من عادات قبيحة وصفات سيئة ومدمومة مثل: التسول، البخل، السرقة... وغيرها، وهذا ما يؤكّد أنّ المقامات فنّ يدرس المجتمع وأبعاده بشكل واضح، فهي لوحة فنيّة تجسّد طبيعة المجتمع وما يحكمه من مبادئ وقوانين.

ولما كانت المقامات اللّزوميّة للسّرقسطي (ت 538هـ) من أجمل نماذج المقامات الأندلسيّة، كانت محطّ هذه الدّراسة، فهي فضلاً عن كونها مدوّنة تراثيّة تزخر بالموروث الشّعبي والرّصيد الثقافي لتلك الحقبة الزّمنيّة المشرقة من تاريخ أمّتنا، تتمثّل حقلاً خصباً يصرّ لنا ذلك التّحاذب والتقاطع بين مبدع النّص ومجتمعه، فجاء موضوع البحث فيها موسومًا بـ "البعد الاجتماعي في مقامات السّرقسطي-دراسة نماذج مختارة"، وقد كانت معالجتنا لهذا الموضوع من خلال طرح الإشكال الآتي:

- كيف تجسّدت الأبعاد الاجتماعيّة في مقامات السّرقسطي؟ وما أهمّ خصائص المجتمع الأندلسي في ضوء المقامات اللّزومية؟

ومن هذا الإشكال تنبثق أسئلة فرعيّة تستوجب لزامًا الإجابة عنها، هي:

- ما مفهوم المنهج الاجتماعي؟ وما علاقته بالمنهج النّقديّة؟

- ما أبرز رواد المنهج الاجتماعي في الدّراسات الغربيّة والدّراسات العربيّة؟

- ما المقصود بفنّ المقامة؟ وما مفهوم نظريّة الانعكاس في الدّرس النّقدي الحديث؟

إنّ أهميّة طرح مثل هذا الموضوع تتعدّد، فهو بمثابة تسليط الضوء على الموروث الأدبي الأندلسي على اعتبار ما قدّمه السّرقسطي في مقاماته عيّنة منه من جهة، ومن جهة أخرى لفت أنظار الباحثين في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة إلى أعمال السّرقسطي.

أمّا ما حملنا على اختيار هذا الموضوع فهي جُملةٌ من الأسباب الداعية إليه، أبرزها:

- طبيعة التخصّص، والميل إلى دراسة الأدب الأندلسي.

- الإعجاب بمقامات السّرقسطي كنوع نثري ممتع، والرغبة في قراءتها بمنهج حديثة.

- قلة الدّراسات التي تناولت البعد الاجتماعي في مقامات السّرقسطي إلّا ما وقفنا عليه في - حدود اطلاعنا - وهما

دراستان؛ أمّا الأولى فدراسة للباحث (محمّد السيّد أحمد حسن) بعنوان: (صورة المجتمع الأندلسي في المقامات

اللّزومية للسّرقسطي)؛ واتّخذت المقامة اللّزومية نموذجًا، لكنّها لم تتخذ من المنهج الاجتماعي منهجًا لها، ودراسة

أخرى مثلها بعنوان: (صورة المجتمع في المقامات الأندلسية)، لجمانة إبراهيم داؤد، أمّا بحثنا فيتمحور حول رصد

انعكاس الواقع الاجتماعي في المقامات اللّزومية.

- المكانة التي تبوّأها مقامات السّرقسطي فحقّق لها أن تحض بدراسة علميّة أكاديميّة.

- إنَّه من حقِّ العلم والعلماء أن يُماط اللُّثام عن جانبٍ من تراث السَّرقسطي، وذلك من باب معرفة كلِّ ذي فضلٍ فضله وإنزال النَّاس منازلهم.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر أهمّها: المقامات اللّزوميّة، باعتبارها محلّ الدّراسة التي قمنا بها، وانهجنا خطةً تتلخّص في فصلين؛ أمّا الفصل الأول ف جاء تحت عنوان: " ماهية المنهج الإجماعي ومفهوم فنّ المقامة"؛ ويمثّل هذا الجانب من البحث الجزء النّظري للدّراسة، فقد اشتمل على مفاهيم أساسيّة، وكانت مباحثه وفق الآتي:

- نشأة المنهج الاجتماعي وعلاقته بالمناهج النّقديّة
- المنهج الاجتماعي في الدّراسات الغربيّة والدّراسات العربيّة
- مفهوم فنّ المقامة

وأما الفصل الثاني كان بعنوان: "الأبعاد الاجتماعيّة في لزوميّات السَّرقسطي". وهو يمثّل الجانب التّطبيقيّ من الدّراسة؛ حيث حاولنا من خلاله استظهار الأبعاد الاجتماعيّة الموجودة في لزوميّات السَّرقسطي في رحاب نظريّة الانعكاس عند جورج لوكاتش، فهي المنحى الذي قامت عليه التحليلات الأدبيّة والنقدية للظواهر الاجتماعيّة، واحتوى هذا الفصل على المباحث الرئيّسة التالية:

- مقامات السَّرقسطي (اللّزوميّة)
- نظريّة الإنعكاس في الأدب
- البعد الإجماعي في مقامات السَّرقسطي

ثمّ خصّصنا خاتمة لتسجيل أهمّ النتائج المتوصل إليها.

وقد استنفذ بحثنا جهدًا ليس باليسير، خصوصًا ما تعلّق بالمُدّة الزمنيّة القصيرة مُقارنة بحجم البحث، لذا اقتصرنا واضطررنا إلى العمل على نماذج مختارة للتطبيق عليها، ولعلّ أبرز العقبات قلّة المراجع الخاصّة بالدّراسة

التطبيقية، إضافة إلى غرابة بعض ألفاظ المقامات مما ألبأنا إلى الاستعانة بأههات المعاجم بحثا عن شرحها وتفسير معانيها.

إن منهج البحث المعتمد عليه لا يقتصر على منهج واحد بل هو مقارنة بين مناهج مختلفة، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، إضافة إلى أداة التحليل بعد استقراء المدونة وجمع مادة البحث منها بغية الدراسة المتكاملة للموضوع.

وفي الختام، نتقدم بالشكر لجميع من أسهم في إخراج هذا البحث، ونخص أستاذتنا المشرفة بأسمى عبارات التقدير والعرفان؛ والتي لم تبخل علينا بالتوجيه والإرشاد خلال أطوار هذه الدراسة، كما أن الشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل لقبولهم قراءة هذا العمل وسعيهم الحثيث في تقييمه وتقويمه.

الفصل الأول

ماهية المنهج الاجتماعي ومفهوم فنّ المقامة

✓ توطئة:

معلوم أنّ الحديث عن البعد الاجتماعيّ في حقل الدّراسات النّقديّة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحديث عن المنهج الاجتماعيّ، لذا فإنّ تصوّرنا لموضوع البحث ينطلق من فكرة توظيف هذا المنهج النّقدي لاستظهار الأبعاد الاجتماعيّة في ضوء المدوّنة المدروسة، ومن هنا جاء هذا الفصل النّظري لیسلّط الضوء على المباحث الآتية:

1. نشأة المنهج الاجتماعي وعلاقته بالمناهج النّقديّة

2. المنهج الاجتماعي في الدّراسات الغربيّة والدّراسات العربيّة

3. مفهوم فنّ المقامة

1. نشأة المنهج الاجتماعي وعلاقته بالمنهج النقدي:

أولاً. المنهج في اللغة:

جاء في (معجم مقاييس اللغة) (نَهَجَ) النون والهاء والجيم أصلاً متباينان: الأول النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج...¹، وعند ابن منظور (ت 711هـ) في (لسان العرب): "نَهَجَ: طريق نَهَجَ: بين واضح، وهو النهج... ومنهج الطريق: وضّحه، والمنهاج كالمناهج، وفي التنزيل: لكل جعلنا شرعة ومنهاجا، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا وضحا بيّناً².
أما في المعجم الوسيط فقد ورد في معنى (المنهج) اللّغوي ما نصّه: "نَهَجَ الطريق نهجا ونهوجا وضح واستبان، ... ويقال نهج الطريق بينه وسلكه... و(أنهج) الطريق وضح واستبان والدابة سار عليها أو عمل حتى أعيت والعقل ونحوه فلانا أتعبه حتى نهج... و(انتهج/الطريق استبانته وسلكه)، واستنهج/الطريق: صار نهجا وسبيل فلان سلك مسلكه"³.

فالمنهج يطلق في اللّغة ويراد به الطريق الواضح.

ثانياً. مفهوم المنهج الاجتماعي في الدّرس النقدي:

كلمة منهج هي الترجمة العربية للكلمة الإنجليزية "method" أو الكلمة الفرنسية "méthode"، وكلتاهما مأخوذة من الأصل اليوناني methods الذي يتألق من مقطعين هما meto بمعنى hodos بمعنى طريق والذي يدل من الناحية الاشتقاقية على معنى التزام الطريق وهي الدلالة الاشتقاقية نفسها التي تدل عليها الكلمة العربية منهج"⁴.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979م، ج5، ص 361.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج2، ص 383.

³ - إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، ط2، 1979م، ص 1016.

⁴ - يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، 2004م، ص 11.

ونفهم من هذا أن كلمة منهج تعني الطريق والسبيل والوسيلة للوصول إلى هدف معين.

ويعتبر المنهج الاجتماعي من المناهج السابقة للدراسات الأدبية والنقدية، وقد انبثق هذا المنهج في حضم المنهج التاريخي وتولد عنه استقلال منطلقاته الأولى منه خاصة عند أولئك المفكرين والنقاد الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة وتحولاتها وذلك طبقاً لاختلاف البيئات والظروف والعصور.¹

ومن هنا يمكن القول أنّ المنهج الاجتماعي هو امتداد طبيعي للمنهج التاريخي، وتنطلق فكرة المنهج التاريخي أو النقد الاجتماعي في نظر بييرباريس من النظرية التي ترى أن الأدب ظاهرة اجتماعية وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها.²

يعني هذا أن العلاقة بين الأديب والواقع الاجتماعي ليست علاقة من جانب واحد بل علاقة جدلية فالأديب يعكس ويصور الحياة الاجتماعية في بيئته، كما أن الأدب هو الذي يصور الواقع بلغة جديدة ومبالغة التعبير الأدبي.

ويهتم الاتجاه الاجتماعي في الأدب اهتماماً أساسياً بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، التي تتحكم في الظاهرة الأدبية وتلعب هذه العوامل دوراً مؤثراً في الإبداع والاستهلاك الأدبي، ويبرز أنصار هذا الاتجاه دعواهم بأننا لا نجد في تاريخ الفنون كلها شعراء منعزلين عن مجتمعاتهم ينشدون قصائد ذاتية بل نجد معظم الشعراء يتناولون في قصائدهم موضوعات اجتماعية.³

نستنتج من محتوى هذا القول أن الشاعر لا ينشد شعراً بمعزل عن المجتمع فهو أصلاً وليد هذه العوامل الاجتماعية كلها بل ويعايشها في كل نفس فإذا جرد شعره من كل هذه العوامل يصبح شعره غير إنساني بمعنى مجرد من الإنسانية.

¹ - صلاح فضل، في النقد الأدبي، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007م، ط 1، ص 44.

² - بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2006، ط 1، ص 64.

³ - محمد سعيد فرح، علم اجتماع الأدباء، الأردن، ط 1، 2007م، ص 111.

وقد استطاع المنهج الاجتماعي في النقد أن يطور مجموعة من المفاهيم والمصطلحات النقدية الهامة مثل: الفنّ والمجتمع، رسالة الأدب ورسالة الفن الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية.¹

وهذا يعني أن هناك تقارب بين علم الاجتماع والنقد الأدبي، كلاهما يرغب في تحقيق الأحسن وتحسين أحوال كل من المجتمع والأدب.

ثالثاً. نشأة المنهج الاجتماعي وتطوره:

حاض علم الاجتماع معارك ضارية من أجل البقاء منذ ولادته الأكاديمية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، حيث بدأ بمنطلقات فكرية متباينة وكان تأييدها بدرجات متفاوتة، وقد مرّ هذا المنهج بمراحل عدّة ليصل إلى مرحلة النضج والكمال.²

إذن علم الاجتماع كغيره من العلوم لم ينشأ من عدم بل كانت له إرهاصات أول قبل بداية النضج أو التأسيس وقد كان القرن التاسع عشر بمثابة العصر الذهبي لهذا العلم.

أما بعض النقاد المعاصرين فيرون أن نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي بنوع خاص، ومن أوائل النقاد الغربيين الذين ثبتوا هذا الاتجاه "سان سيمون 1790-1825 وجماعته الذين عدوا إلى تنظيم المجتمع ودعوة الفرد إلى خدمته.³

وكذلك نجد أن هنالك من ينسب مرحلة التأسيس إلى سان سيمون الذي دعا إلى خدمة الأدب للمجتمع. وقد تزامن مع هذه الدعوة قيام الثورة الفرنسية والإعلان عن مبادئها: "الحرية، الإخاء، المساواة" وقد مهد لقيام هذه الثورة كل من فولتير"، "جون جاك روسو"، وسار عل منهجها الكثير من المفكرين والأدباء الذين اتجهوا بأدبهم نحو

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997م، ط1، ص 49.

² - السيد الحسني، نحو نظرية اجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، دط، ص 16.

³ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 82.

التعبير عن مشكلات المجتمع الفرنسي في عهد ما قبل الثورة حيث كان هذا المجتمع ينقسم إلى طبقات عدة: طبقة النبلاء، ورجال الدين، وعامة الناس.¹

معنى ذلك أنّ من أسباب هذه الثورة ما دعا إليه "سان سايمون" وبعده "فولتير"، وجون جاك روسو وتلا هؤلاء جمع من المفكرين والعلماء كلّ حسب توجهه الخاص.

وقد عرف المنهج الاجتماعي عصره الذهبي في فرنسا، ذلك أن الثورة الفرنسية طرحت العديد من الأسئلة التي لم تكن في عصر التنوير قبل عام 1789م، وقد ولد مجتمع جديد والواقع آن اتجه الأدب الحديث بل يرجع إلى أبعد من ذلك.²

ومن بين العلماء والمفكرين في علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر نجد كلا من "أوغست كونت"، "كارل ماركس"، "إيميل دوركايم"، "ماركس فيبر" وغيرهم وقدموا لهذا الميدان إنجازات بالغة الأهمية بالرغم من تفاوت قدراتهم.³

درس كلّ من هؤلاء العلماء علم الاجتماع بطرائق ومن وجهات نظر متعددة، وكل حسب رؤيته الخاصة. وقد ظل علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر ظاهرة أوروبية ولكن بحلول القرن العشرين غير الوجهة إلى الغرب ليصبح ظاهرة أمريكية وعلى الرغم من ذلك فإن بدايته الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية لم تختلف عنها في أوروبا لأنها اعتمدت على الإنجازات التي حققتها هذه الأخيرة، غير أن علم الاجتماع الأمريكي ما لبث أن أبدى اهتماما كبيرا بعلم النفس الاجتماعي ودراسة المشكلات الاجتماعية التي فرضت نفسها على المجتمع الأمريكي.⁴

فحوى القول أن هذا العلم انتقل من أوروبا إلى أمريكا ولكن الأمريكيون نهلوه كما عند الأوروبيين.

¹ - عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2008م، ص 75.

² - المرجع نفسه، ص 76.

³ - السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية، ص 17.

⁴ - بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد، ص 60.

وفيما بعد شرعوا في ربطه بعلوم أخرى كعلم النفس الاجتماعي في دراسة الأدب قد بدأ منهجيا منذ أن أصدرت "مدام دي ستايل" كتابها الموسوم بالأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية عام 1800م، فأدخلت بذلك المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع.

ومعنى هذا أنّ بعض النقاد ينسب مرحلة التأسيس إلى ما قامت به "مدام دي ستايل" في كتابها المذكور آنفا، حيث كان أول محاولة في فرنسا لجمع الأدب.

رابعاً. علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج النقدية:

بعد دراسة المنهج الاجتماعي اتضح لنا أن هناك علاقة تربطه بالمنهج الأخرى وأهمها المنهج التاريخي والنفسي. أ. علاقته بالمنهج التاريخي:

لقد ذكرنا سابقاً أن المنهج الاجتماعي نشأ وترعرع في أحضان المنهج التاريخي، ليملاً نقائص المنهج التاريخي، وقد أشار النقاد والمفكرون إلى فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة، وتحولاتها طبقاً لاختلاف البيئات والظروف والعصور¹، فالمجتمعات تتغير بتغير الزمان والمكان، وكل فترة زمنية ظروفها الاجتماعية الخاصة، فمثلاً العصر الجاهلي ظروفه الاجتماعية تختلف عن ظروف العصر الحديث، ولذلك نجد الأدب والشعر الجاهلي يختلف عن ذلك الأدب والشعر الحديث، وذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية.²

ويتداخل المنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي الذي بدأت أهم عناصره في ثلاثية هيولي تين، اللحظة الزمنية والبيئية والعرق، وفي ما قاله ماركس عن البعد الاقتصادي باعتبار الاقتصاد بنية تحتية والثقافة ببنية فوقية³ فكارل ماركس قسم المجتمع إلى طبقتين، طبقة تحتية وهي الطبقة الكادحة والتي تضم الخدم والعبيد والمزارعين، الذي يساهمون

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 45.

² - إبراهيم السعافين وخبيل الشيخ، مناهج النقد الأدبي، ص 11.

³ - وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 44.

في الاقتصاد وطبقة عليا وهي الطبقة التي تضم الأدباء والمثقفين والأغنياء، فإذا كان الأديب ينحدر من عرق أو بيئة مثقفة فهو من الطبقة العليا في المجتمع أما إذا كان غير ذلك فهو ينحدر من الطبقة التحتية.

إنّ علم الاجتماع يلتقي مع التاريخ في وظيفته الوصفية، وهي من غير شكّ وظيفة هامة، تضع العمل الأدبي في جوّ إبداعه، وظروف نشأته¹؛ ولا شكّ أنّ الوظيفة الوصفية تساعدنا على معرفة البيئة والظروف الاجتماعية للعمل الأدبي في عصر من العصور أو بيئة من البيئات.

فصلة الأدب بالتاريخ والمجتمع صلة مؤكدة لا ريب فيها²؛ حيث عند تفسير العمل الأدبي لا يمكن الاستغناء عن المؤرّخ الذي يحدد لنا الفترة الزمانية والمكانية التي نشأ فيها الأدب، كما لا يمكننا أن نستغني عن عالم الاجتماع والذي بدوره يحدد لنا الطبقات والفوارق الاجتماعية في النص، كما يحدد الأنظمة السياسية للمجتمع ونظرا لتداخل المنهجين مع بعضهما البعض فإننا نجد كثيرا من النقاد لا يستطيع التفريق بينهما، لتشابههما وتوافقهما إلا أنّهما يتقاطعان في العناصر³ فلكل منهج عناصره وخصائصه.

ب. علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج النفسي:

بعدهما تطوّر علم النفس، نشأت اتجاهات جديدة كان لها أثر بالغ في ربط العالم الداخلي بالإبداع الأدبي، أي ربط نفسية المؤلف بإنتاجه المتأثر بظروف خارجية، ومن أهم هذا التيارات نجد "مدرسة يونغ" في علم النفس الجماعي⁴ ومن هنا اتضحت علاقة علم النفس بالمجتمع، أو بعبارة أخرى علاقة "المنهج الاجتماعي بالنفسي"، حيث يرى "يونغ" أن الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على التجربة الفردية، وإنما تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية

¹ - يُنظر: المرجع السابق، ص 30.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.

³ - ينظر: إبراهيم السعافين وحبيل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، ص 111.

⁴ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 74.

للجماعة¹ وذلك باعتبار أن الإنسان كائن حي اجتماعي غير منعزل على الجماعة فتفكيره يتأثر بالجماعة المحيطة به، وقد وافق "يونغ" أستاذه على مبدأ اللاشعور بوصفه مظهر من مظاهر الفن والذي يسميه "اللاشعور الفردي" أو الشخصي أو "الخافية الخاصة" ولكنه يضيف نوعاً آخر يسميه "اللاشعور الجمعي" أو "الخافية العامة" وبعده المنهج الأساسي للأعمال الأدبية والنفسية".

إنّ العالم كارل يونج يؤكّد أنّ اللاوعي الجمعي لم يكن يوماً وعياً مكتسباً عند الفرد بل وجد في إطار جماعي يتوارثه منذ أبد الدهر البعيد، "لذلك فهو موجود عند جميع الناس يستمد منه الشعراء والكتاب مادة الصورة وقد تنشط نماذجه عندما يتعرض الواقع لضغط من الضغوط أو الرقابة فتزدحم آثاره في كل شعر وبنوته كنوع من الإحالة على نمط معروف لدى الجميع، يقتني الإشارة إليه عند الإفصاح عنه"² أي أن اللاشعور الجمعي لم يكن فردياً اكتسبه الفرد من خلال الجماعة وهو موجود عند كل شخص ينمو معه، ويجسده في كتاباته، فالأدب أو النص الأدبي هو الوسيلة المناسبة للتعبير عن تلك الأحاسيس، والمجتمع هو الذي سلوك الفرد "كذلك الحال في العلاقة بين الخارج المادي والاجتماعي، والداخل المادي العصبي والنفسي، فهما على درجة عالية من التواصل، وهكذا يلعب المجتمع دوراً هاماً في عملية الإبداع الأدبي وفي الفنون الأدبية"³.

فالسّياق الاجتماعي يؤثر على نفسية الفرد من المجتمع، كما أن أسلوبه هو شبكة خاصة وشخصية، وقد تكون لاشعورية من العادات والهواجس اللفظية التي تتسلط عليه وتملك عليه أمره" ظهر ذلك في العصور القديمة والوسطى إذ كان الاقتصاد كله في يد المملوك، وكان من العار أن يزاول أحد العمل البدني لأنه من اختصاص العبيد لذا كان يجد الشاعر فرصة ساذجة بمدح المملوك، ويؤلف قصائده على المثل التي كانت تشكل الواجهة الاجتماعية، والتي

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 76.

² - حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، الأدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2005م، ص 48.

³ - المرجع نفسه ص 49.

تمثلت في الحكمة، والشجاعة، والكرم والزعامة الروحية، فالنظم الاقتصادية والطبقات الاجتماعية تؤثر في أحاسيس وأفكار الفرد، وقد صور "نجيب محفوظ"، "محبوب عبد الدايم" "رجلا" عانى في مرحلة طفولته شظف العيش، وقسوة الحياة، قاسى الجوع والحرمان، وثار بدوره على طبقه، وتطلع إلى الطبقة الفنية، وتحقق له هو الآخر ما كان يطمع إليه، لكنه كان يسير في طريق وحل¹ فقد قاسى "محبوب عبد الدايم" في طفولته قسوة الحياة الاجتماعية لذا ثار على طبقته الكادحة فلو لم يعانى القسوة لما انقلب على طبقته.

وقد استعمل ولسن من قد يسمى وحي الجمع البق بين علم النفس وعلم الاجتماع يبين الظروف التي تفسر الطبيعة الخاصة للأثر الأدبي².

فقد روج بين علمي الاجتماع والنفس "غير أن إدراكه للعوامل الاجتماعية غير مستقر من دراسة منهجية كما هو حال الماركسي، وإنما هو ذو صلة طليقة بالعناصر السيكولوجية في دراسة شعور الأديب نحو طبقته والآثار التي انطبعت في نفسه من الكفاح الاقتصادي في المرحلة الأولى من حياته وأنواع الاحتكاك التي أوقعه فيها العرف والتقاليد³ فهو يؤكد أن الطبقات الاجتماعية (الماركسية) تؤثر في نفسية الأديب وبالتالي تأثر على أفكارهم وأدبهم"، فقد عمد إلى الأسباب الاجتماعية للظواهر النفسية ثم استغل الظواهر النفسية ليفسر أو ليعلل في النشأة لخصائص أدب ذلك الأديب⁴.

ويختلف المنهجين في طريقة تحليل الأدب فالمنهج النفسي يسعى إلى تحليل الأدبي ليستخرج الأمراض النفسية والعلل التي تصيب الأديب أما المنهج الاجتماعي فيحلل النص لاكتشاف الواقع والطبقات الاجتماعية للمؤلف ومجتمعهم ولكلّ منهج خصائصه ومبادئه.

¹ - المرجع السابق، ص 207.

² - دفيد ديتيس، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، تر: يوسف نجم، دار صادر-بيروت-لبنان، ط1، 2007م، ص 530.

³ - المرجع نفسه، ص 531.

⁴ - المرجع نفسه، ص 549.

2. المنهج الاجتماعي في الدراسات الغربيّة والدراسات العربية:

أولاً. أهمّ روّاد المنهج الاجتماعي لدى الغرب:

1. جورج لوكاتش (1885م-1971م)

من رواد هذا الاتجاه في القرن العشرين، إذ أن جولدمان كثيراً ما يعاود قراءة أعماله خاصة "الروح والأشكال" ونظرية الرواية حيث تناول "لوكاتش" العلاقة الحميمة بين المبدع والواقع المعاش هذا من ناحية ومن ناحية ثانية يركز لوكاتش على الوعي التاريخي المنبعث من قبل، المؤلف وكيف استطاع أن يوضحه من خلال أعماله.

درس وحل العلاقة بين الأدب والمجتمع باعتباره -انعكاساً للحياة وقدم دراسات ربط فيها بين نشأة الجنس الأدبي وازدهاره، وبين طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما" يسمى ب: سييسولوجيا الأجناس الأدبية، تناول فيها طبيعة ونشأة الرواية المقترنة بنشأة الحركة الرأسمالية العالمية وصعود البرجوازية الغربية.¹

2. ميخائيل باختين (1895م-1975م):

يعد "باختين" المؤسس الأول لعلم اجتماع النص الأدبي أو حتى لعلم اجتماع الشكل الأدبي وقد تعرض باختين في دراساته لنظرية الإنعكاس آلياً للمجتمع بقدر ما يكون الفن يعتبر اجتماعياً مرتبطاً بما هو خارج الوعي الفردي وأن الوعي الذاتي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الوعي الجماعي وعليه نستطيع القول إن باختين أدرك أهمية الرواية كعمل فني نستطيع من خلاله أن ندرك فئات المجتمع الدنيا وهو ما جعله يرى أهمية الأشكال الشعبية والدونية كمادة توضح نظم الصراع الموجودة داخل المجتمع.²

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 67.

² - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987م، ص

تحدث باختين عن الموضوع الجمالي كما يحدد ذلك د.محمد علي الكردي فرأى أن الموضوع الجمالي ليس مبدأ ميتافيزيقيا سابقا على الخلف الفني، إذ أنه الواقع الحي والملموس تحركه الوعي الخلافة، وهي حركة تتشكل على الطريقة الظاهرانية داخل مواقف معرفية وأخلاقية ماثلة دائما من قبل.

إن الوعي الخلاق يدمج في تكوين للموضوع الجمالي بين اللحظة التقييمية أو المعيارية ووصفية الحدث أو الظاهرة التي يتناولها بالمعالجة في إطار لعدة رمزية.

طبق باختين آراءه على أعمال رابليه في رسالة دكتوراه التي قدّمها عام 1965م على دستور فسكي "واستخلص من خلال دراسة شكلين من أشكال الرواية.

3. لوسيان غولدمان (1913م-1970م):

اعتمد غولدمان على بعض مقولات أستاذه "جورج لوكاتش" مما جعله يصل على مكانة جعلته مؤسسة المنهج البنوي التكويني إذ نجح من خلال دراسة "الإله الخفي" ومدح راسين في تناوله الرؤية المأساوية في خواطر باسكال وراسين وسعى على الإحاطة بالبنيات التصويرية للنصوص المدروسة واستخلاص الكليات العقلية والاجتماعية وتوصل إلى خواطر باسكال وماسين ليستا سوى تعبير عن الوضعية المأساوية التي عاشتها نبالة مثقفة موزعة بين أصولها وارتباطاتها البورجوازية وهي تغيير يتجلى في رفض العالم لدى الجانسية.¹

وعليه نستطيع القول أن غولدمان عندما طبق المنهج السوسيولوجي استطاع أن يركز على الإبداع الفردي للمؤلف الذي بطبيعة الحال جزءا من الإبداع الجماعي.

ثم جاء "لوسيان غولدمان" الذي ارتكز على مبادئ لوكاتش حيث تبنى اتجاهها يطلق عليه علم اجتماع الإبداع الأدبي حاول فيه الاقتراب من الجانب الكيفي على عكس اتجاه سكاربيه الكمي.

اعتمد غولدمان على مجموعة من المبادئ العميقة والمتشابكة التي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

¹ - لوسيان غولدمان وآخرون، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993م، ص 38.

- يرى غولدمان أن الأدب ليس إنتاجاً فردياً ولا يعامل باعتباره تعبيراً عن وجهة نظر شخصية بل هو تعبير عن الوعي الطبقي لفئات المجتمعات المختلفة، بمعنى أن الأديب عندما يكتب فإنه يعبر عن وجهة نظر تتجسد فيها عمليات الوعي والضمير الجماعي، فجوة الأديب وإقبال القراء على أدبه بسبب قوته في تجسيد المنظور الجماعي ووعيه الحقيقي بحاجات المجتمع، فيجد القارئ ذاته وأحلامه ووعيه بالأشياء والعكس صحيح لمن يملك وعياً مزيفاً.¹

- أن الأعمال الأدبية تتميز بأدبية دلالية وهي ما يفهم من العمل الأدبي في إجماله، وتختلف من عمل لآخر، فعندما نقرأ عملاً ما فإننا نسعى إلى إقامة بنية دلالية كلية تتعدل باستمرار كلما عبرنا من جزء إلى آخر في العمل الأدبي، فإذا انتهينا من القراءة نكون قد كونا بنية دلالية كلية تتكوّن من المقابل المفهومي والمقابل الفكري للوعي والضمير الاجتماعي المتبلورين لدى الأديب.²

- أسّس غولدمان منهجه التوليدي أو التكويني كما قام بإجراء عدد من الدراسات التي يرتبط بعلم اجتماع الأجناس الأدبية، كما فعل "لوكاتش" فأصدر كتاباً بعنوان من أجل تحليل سوسيولوجي للرواية" درس فيه نشأة الرواية الغربية وكيفية تحولاتها المختلفة في مراحلها المتعددة تعبيراً عن رؤية البرجوازية الغربية للعالم، وعليه فقد جاء جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان فأبانا عن العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع باعتبار أن الإبداع الأدبي ما هو إلا انعكاس تخيلي لهذه الحياة الاجتماعية.³

بناء على ما سبق نستطيع القول إن غولدمان عندما طبق المنهج السوسيولوجي استطاع أن يتركز على الإبداع الفردي للمؤلف الذي يعد بطبيعة الحال جزءاً من الإبداع الجماعي السوسيولوجي ارتبط كثيراً بمجال الرواية أكثر من

¹ - المرجع السابق، ص 40.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

³ - لوسيان غولدمان وآخرون، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ص 42.

ارتباطه بالمسرح لذلك طبق "غولدمان" هذا المنهج على العديد من الأعمال الأدبية فقد طبقه على أعمال "بودلير" وخاصة قصيدته الشهيرة باسم الققط".

ونجح أيضا "غولدمان" في تطبيق هذا المنهج في مجال المسرح على أعمال الكاتب الفرنسي "جان جينيه" الذي قدم العديد من الأعمال المسرحية أمثال الخادما والزواج، وكذلك طبّق على مسرح "هارتز" واستطاع أن يؤكّد على قدرة "سارتر" في رصد الكثير من التحولات الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والسياسية في المجتمع الأوروبي في أعقاب الحرب العالمية الثانية من خلال مسرحياته "الذئاب" وموتى بلا قبور و"الأيدي القذرة".

من خلال التحليل السابق يمكن القول بأن مشروع غولدمان يتميز بكونه اتخذ العمل الأدبي مجالا أساسيا للبلورة منهج ينطلق من العمل ذاته ومستعملا منهجية سوسيولوجية وفلسفية لإضاءة البنيات الدالة وتحديد مستويات إنتاج المعنى عبر أنماط من الرؤية للعالم.

وقد كان غولدمان يعتبر هذه القراءة للأعمال الأدبية والفكرية أساسية وسابقة للقرارات الأخرى، إلا أنّ ما أنجزه من تحليلات وتطبيقاته على أهميته لا يزكى لمشروع في طموحاته البعيدة وإنما يجعله مشروعاً مفتوحاً قابلاً للنقد والإضافات وهذا الجانب هو ما يحاول بعض الباحثين أن يعيقوه ضمن المنهج الغولدماني.

4. بيير زيمّا (1946م...):

استطاع زيمّا أن يتخطى مرحلة التأثير "بباختين" على مرحلة الإضافة والابتكار والتفسير فلم يعد همه من دراسة المجتمع وحسب بل نجده يهتم بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص¹.

وقد حرص باختين على ضرورة تجسيد وتحديد جوانب الصراعات الطبقيّة في المجتمع الواحد وهو يذكرنا بأعمال الكثير من كتاب مسرحنا المصري إذ حرصوا أمثال "سعد الدين وهبة"، "نعمان عاشور"، "نجيب لطفى الخولي، يوسف

¹ - صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث، قضايا ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426هـ، ص 68.

إدريس"، في مجال من خلال مسرحياتهم على ضرورة إيضاح أوضاع الطبقات الاجتماعية وصراعاتها كما تمثل عندنا في ظهور طبقات واختفاء طبقات أعقاب ثورة 1952م، والانفتاح الاقتصادي 1978.¹

وهو الأمر الذي دفع بزيمًا أن يقدم منهجًا نقديًا تحليليًا سوسيوولوجيًا قوامه ليس فقط الانغلاق على النص بل الخروج من النص إلى دائرة المجتمع والجمهوري والمستقبل لهذا النص غير أن البعض يوجه النقد إلى منهج زيمًا ويرون أن تأكيد زيمًا على النص وحده على اعتبار أنه لغة وليس أكثر من ذلك أمر غير صحيح؛ ذلك أن النص يتكوّن من عدد من الأنساق المتعدّدة من العلامات؛ منها ما هي لغويّة وغير لغويّة.²

فزيما لم ينس أنّ النص الأدبي ليس كالوثيقة التاريخية التي تعتمد فيها المؤرّخ على التأكيد على صحّة الأمر من عدمه، بل يظلّ الأدب قادرًا على تجاوز هذه المرحلة ونستطيع أن نلتمس ذلك في مسرح الكثير من الكتاب المصريين أمثال: "الفريد في مسرحيته" سليمان الحلبي "والحسين شهيداً"³.

إنّ نقاد البنيوية (نقاد السوسيوولوجيا) سعوا من خلال أعمالهم إلى "دراسة قواعد المفهوم الماركسي" في تناول النص الأدبي، وقد أكدت هذه الأعمال على أهمية العنصر الاجتماعي فلي الأدب، بوضع الدوافع الاجتماعية الثابتة التي ينتمي إليها الشكل الأدبي، هذا بإبقاء النص الأدبي مجملًا لمواجهة دائمة أو جدل دائم بين المضمون والشكل ونتيجة لذلك ثمار الوعي النقدي بضرورة إيجاد نوع من توازن كل الظروف والعناصر التي تبقى المضمون والشكل متفاعلين.

¹ - يُنظر: داوود عطاشة، قضايا النقد العربي، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ص 35.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 35.

³ - وليد قطاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م، ص 40.

ثانيًا. أهمّ روّاد المنهج الاجتماعي لدى العرب:

درس بعض النقاد العرب المناهج في أوروبا وتعرفوا على تطوّرها ومن بين هذه المناهج المنهج الاجتماعي، ثم قاموا بتطبيقه في الدول العربية ومن بين الدراسات التطبيقية التي استخدمت منهج التوليدية في تحليل ظواهر الأدب العربي، نجد الدراسة التي قام بها "الطاهر لبيب" وهو عالم اجتماعي تونسي والتي تمثلت في ظاهرة الغزل العذري وهي ظاهرة اجتماعية ارتبطت في نشأتها بمجتمع البادية في العصر الأموي¹.

المنهج الاجتماعي من المناهج الحديثة التي أخذت تجذب إليها اهتمام العرب وعلى أساس هذا المنهج قام "الطاهر لبيب" بتفسيره للانتشار هذا الحب في العصر الأموي بأنه ظاهرة اجتماعية انتشرت كما تنتشر سائر الظواهر الاجتماعية.

حاول الطاهر لبيب أن يقيم علاقة بين هذه الظاهرة باعتبارها ظاهرة متميزة في تاريخ الشعر العربي في الفترة الأموية من ناحية، وطبيعة الأبنية الاجتماعية والاقتصادية هؤلاء الشعراء من ناحية أخرى ومدى نجاحهم في التعبير الاجتماعي².

ونفهم من هذا أن الدراسة التي قام بها الطاهر لبيب "كان يهدف من ورائها إلى الكشف عن مدى التفاعل بين الأديب والمجتمع الذي يعيش فيه ويبرز المنهج الاجتماعي كذلك في دراسة الأستاذ "أحمد الشايب" لظاهرة النقائض في الشعر العربي، وهي ظاهرة نشأت وتطورت في العصر الأموي وذلك في ظل ظروف اجتماعية ترجع أساسا إلى فكرة العصبية التي سادت النظام الاجتماعي في العصر الجاهلي"³.

¹ - يُنظر: يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص 38، 39.

² - يُنظر: عثمان موافي، دراسات في النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2000م، ص 91.

³ - يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص 26.

هذا يعني أنّ معظم الشعراء طبقوا المنهج الاجتماعي على دراستهم الأدبية وهو ما ظهر في دراسة "أحمد الشايب" لظاهرة النقائص التي ظهرت في العصر الأموي بسبب العصبية التي كانت تنادي بوحدة الدم وعلى أساس هذا المنهج الاجتماعي أيضا قامت دراسة لظاهرة الصعلكة في العصر الجاهلي هي ظاهرة وثيقة الصلة بطبيعة الحياة الاجتماعية في هذا العصر، حيث وقف الباحث امام هذه الظاهرة يحاول الكشف عن أسبابها ودوافعها وانتهى إلى أنها ترجع أساسا إلى طبيعة تكوين المجتمع القبلي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهي صورة من صور اللاتوافق الاجتماعي بين الفرد والمجتمع¹.

نجد أن لظاهرة الصعلكة صلة وثيقة بطبيعة الحياة الاجتماعية السائدة في محيط ظهورها ودوافع نموها راجع أساسا إلى طبيعة التكوين للمجتمع الجاهلي.

طبق المنهج الاجتماعي في كتابات بعض رواد الحركة الأدبية الحديثة في مصر: مثل طه حسين في تصويره للمجتمع المصري قبل ثورة 23 يوليو، وما كان يعانيه من تفاوت طبقي، وذلك في كتابه "المعذبون في الأرض".

ويبدو هذا التطبيق واضحا في أعماق "توفيق الحكيم" في كتابه "يوميات نائب في الأرياف" الذي صور كثيرا من المشكلات الاجتماعية والتفاوت الطبقي كان سمة من سمات المجتمع المصري.²

لقد استطاع كل من "طه حسين" و"توفيق الحكيم" تصوير معاناة الطبقة الكادحة ومختلف ألوان البؤس والشقاء، الذي كان يعاني منه معظم أفراد الشعب المصري والتفاوت الطبقي الذي كان سائدا في العصر الذي عاش فيه هذان الشعراء.

ومنذ وضع "تين" (tean) أسس العلاقة الديناميكية بين المجتمع والأدب فمن الصعب على أي ناقد أن ينكر هذه الصلة مهما حاول التقليل من شأنها ومن أخذ بلزك 1850م إذ كتب قصصا اجتماعية وصف فيها واقع المجتمع،

¹ - يُنظر: المرجع السابق، ص 28.

² - عثمان مواني، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، ص 90.

الفرنسي في عصره وأبدع في تصوير الشر كما يراه للثورة عليه وما يترتب على ذلك من تغيير في نظام المجتمع من وراء هذا التصوير.¹

وكخلاصة يمكن القول: إنّ المنهج الاجتماعي قدّم فوائد جمة وفتح أعيننا على قراءة الحياة وعلاقتها بالمجتمع وذلك من خلال فهم النقد الاجتماعي.

¹ - سامي يوسف بوزيد، تتوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2012م، ص 47.

3. مفهوم فنّ المقامة:

تعدّ المقامة فناً أدبياً جاء بأسلوب قصصي، يتخذ الحوار جسراً إلى تحقيق أغراض تعليمية واجتماعية ونفسية، وهي فرع من فروع الأدب العربي الذي ظهر في العصر العباسي على يد الهمداني، والمقامة لفظاً تفرقت حوله التعاريف وتشعبت، فالكلمة أخذت دلالات حول مجالات استعمالها.

ومما لا يختلف فيه اثنان عهدنا في البحوث العلمية أن لكل لفظ دلالتين فالأولى تتعلق بالجانب اللغوي أو دلالاتها اللغوية، أما الثانية فترتبط بمعناها الاصطلاحي.

أولاً. المعنى اللغوي للمقامة:

لا يكاد المعجم العربي يقدم فائدة ذات غناء في إيضاح المقامة وجميع اللذين تناولوا فنّ المقامة تحدثوا عن نشأته وتطوره. كان اعتمادهم في الأساس في تحديد المعنى اللغوي للكلمة في معاجم اللغة وخاصة معجم لسان العرب لابن منظور. انطلاقاً من مادة قوم والتي أخذت منها كلمة مقامة بفتح الميم أو بضمها من قام يقوم قوماً وقياماً وقومة وقامة، وجعلها في باب الميم وهي تعني موضع القدمين وقال:

هَذَا مَقَامٌ قَدَمِي رِيَا ح غَدْوَةٌ حَتَّى دَلَكْتُ بَرَا ح

والمقامة بالضمّن الإقامة والمقامة، وبالفتح المجلس والجماعة من الناس¹ وجاء أيضاً في المعجم نفسه ألا وهو معجم لسان العرب لابن منظور أن المقامة: "الموضع الذي تقيم فيه والمقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس"². كما ورد تعريف المقامة في "المعجم الوسيط": "المقامة موضع القدمين، والمجلس والجماعة من الناس"³. وقد استعمل ليبيد بن ربيعة "المقامة" بمعنى الجماعة من الناس في قوله:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 355.

² - المرجع نفسه، ص 224.

³ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 867.

"ومقامة غُلبِ الرقاب كأثمهم جِحْنٌ لَدَى بابِ الحَصِيرِ قِيَامٌ

وأُنشد ابن بري لزهير:

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوههم وأحذيةٌ يَنتابُها القَوْلُ والفعلُ"¹

وورد في القرآن الكريم: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"².

وإنما سميت المقامات لأن الرجل كان يقوم في المجلس فيحضّ على الخير ويصلح بين الناس، ويقال: هو مقامة قومه، إذا كان يقوم فيتكلم في الحضّ على المعروف³.

يقول عباس بن مرداس:

فأبي ما وأيّك كان شرا يفيدُ إلى المقامة لا يراها⁴

وجاء في المعجم الوسيط (المقامة): هي قصّة قصيرة مسجوعة، تشتمل على عظة أو ملحّة، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم، والجمع: مقامات، ومقامات الناس: مجالسهم⁵.

ومن هنا جاءت المقامة على معانٍ متعدّدة، وهي: المجلس والجماعة من الناس، والقصة القصيرة المسجوعة.

وقد وردت أيضا في كثير من أشعار الشعراء الجاهليين مثل قول مالك بن حريم الهمداني⁶:

وأقبلَ إخوانُ الصَّفَاءِ فأَوْضَعُوا إلى كُلِّ أَحْوَى في المقامةِ أفرَعَا

¹ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1971، ج33، ص 179.

² - سورة الإسراء، الآية 79.

³ - يُنظر: أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة-مصر، د ط، 1944م، ص 106، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 355.

⁴ - العباس بن مرداس السلمي، ديوان العباس بن مرداس السلمي، تح: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1991م، ص 163.

⁵ - يُنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 768.

⁶ - يُنظر: الأصمعي، الأصبغيات، تح: محمّد حمود، دار الفكر اللبناني-بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ص63.

كما وردت أيضا هاته اللفظة في القرآن الكريم في مواضع عدة منها سالفه الذكر والأخرى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾¹، ويقصد هنا بالمقام المجلس والمجتمع.²

كما وردت أيضا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾³، والمقام في هذه الآية يقصد به اسم لموضع القيام، وقد اتخذوا من هذا المقام مكانا للصلاة وهو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عند بناء الكعبة.

إذن فالمقامة اسم مكان القيام اشتق من كلمة القيام التي تعني المجلس مكانا وجماعة، إذ يقوم متحدثا فيلقي على أسماع الجماعة كلاما فهي بهذا المعنى الحلقة التي يدور فيها الحديث، ثم توسيع مدلول المقامة "حتى صارت مصطلحا خاصا يطلق على الحكاية، وأحيانا على الأقصوصة بما أبطال معينون وخصائص أدبية ثابتة، ومقومات فنية معروفة"⁴ مما أسهم في جعل فن المقامة يكتسب طابعا خاصا لا يتأتى إلا لمن يمتلك الموهبة والبراعة والنفس الطويل على نسج خيوط حكاياته وقصصه.

ثانياً. المفهوم الاصطلاحي للمقامة:

أما المقامة من الناحية الاصطلاحية فقد عرفها شوقي ضيف في كتابه المقامة على أنها: "نوع من القصص القصيرة تحفل بالحركة التمثيلية، وفيها تدور محاوراة بين شخصين سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الإسكندري"⁵.

¹ - سورة مريم، الآية 73.

² - حمدون غسان، تفسير من نسيمات القرآن، مراجعة جميل غازلي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1406هـ، ص 317.

³ - سورة البقرة، الآية 125.

⁴ - عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1980م، ص 12.

⁵ - شوقي ضيف: المقامة، دار المعرفة، القاهرة، 1954م، ص 7.

وأما يوسف نور عوض في كتابه "فن المقامات" فيفصل أكثر في تعريف المقامة بقوله: "أن المقامة تمثلت في حديث يلقي على جماعة من الناس إما بغرض النصح والإرشاد، وإما بغرض الثقافة العامة أو التسول"¹. فمن خلال هذا القول نرى أن المقامة ذات اتجاهات ثقافية وعظمية تهدف للنصح والإرشاد بدرجة أولى وتلقى على جماعة من الناس. وهناك تعريف آخر أكثر وضوحاً للمقامة وهو لركان الصفدي في كتابه "الفن القصصي في النثر العربي" بأنها: "قصص قصيرة متعددة ومتسلسلة تتناول موضوعاً واحداً مثل الكدية تقوم على شخصين أساسيين هما الراوي والبطل المكدي، وتقوم بأسلوب منمق على إنجازات فن البلاغة ولاسيما السجع وفق بنية خاصة ثابتة تميزها من باقي القصص"². من خلال هذا القول يتبين أن المقامة هي قصة قصيرة تتناول موضوعاً واحداً يدور حول التسول والكدية وتقوم على شخصين أساسيين هما الراوي والبطل وبأسلوب منمق غني بالسجع.

ثالثاً. نشأة المقامة:

يكاد يجمع المشتغلون بالأدب على أن "بديع الزمان الهمداني" هو المبتدع الأول لفن المقامة، وأنه من أرسى قواعده وأطلق عليه هذه التسمية -المقامة- يقول الحريري في مقدمة مقاماته: "وبعد فإنه جرى ببعض أندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ربحه وخبث مصابيح ذكر المقامات التي ابتدعها "بديع الزمان"، وعلامة "همدان..."³. فالحريري "هو من أشهر كتاب المقامات يعترف بعجزه باللحاق بمهارة "الهمداني" في كتابه لها ومجاراته فيها فيقول: "... فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شأو الظليع..."⁴.

¹ - يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م، ص 8.

² - ركان الصدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، 2011م، ص 140.

³ - عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المحتالين، التكوين للنّأليف والترجمة والنشر-دمشق- سوريا، ط1، 2008م، ص 348.

⁴ - المرجع نفسه، ص 349.

وهذا ما أيده القلقشندي بقوله: "إنّ أوّل من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر، إمام الأدب البديع الهمداني فعلم مقاماته المشهورة المنسوبة إليه وهي غاية البلاغة وعلو الرتبة في الصنعة"¹.

وقد اختلف المؤرخون والأدباء في تاريخ المقامات اختلافا شديداً، وتضاربت الآراء حول أسباب وظروف نشأتها فوقفوا بين رأيين:

أ. الرأي الأول:

إن بديع الزمان الهمداني "أنشأ المقامات متأثراً بمن سبقه وأنه استلهم فكرة المقامات من أحاديث ابن دريد الأربعة التي تحتوي قصصاً قصيرة مسجوعة مليئة بالغرابة وحوشي اللفظ والتي افترض الدارسون وجود إرشادات لنصوص منها في كتاب "الأمالي لأبي علي القالي" فيقول: "الحصري" في ذلك: لما رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وأنتجتها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر في معارض عجمية وألفاظ حوشية ... عارضة بأربعمائة مقامة من الكدية، تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً"².

والتي كانت تدور في مجملها على الكدية والاحتيال على عكس الأحاديث التي كانت غرضها الإشادة بشمائل العرب ومناقبتهم وفصاحتهم "كما أن لغة المقامات وصياغتها أرقى منها في الأحاديث لأنها موجهة للبلغاء في حين أن الأحاديث منهل الأدب المشترك والتي يتعدد أبطالها في حين تعتمد المقامة على بطل واحد وراو واحد"³.

¹ - المرجع السابق، ص 349.

² - شوقي ضيف، الفن القصصي المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط 3، ص 17.

³ - ينظر: فيكتور الكك، بديعيات الزمان، المطبعة الكاثوليكية-بيروت-لبنان، د ط، 1960، ص 54، 55.

ب. الرأي الثاني:

فيقول أنّ المقامة ثمرة تيارين في الأدب العربي، تيار أدب الحرمان والتسول" الذي انتشر في القرن الرابع للهجرة وتيار "أدب الصنعة" الذي بلغ فيه المتسولون مبلغا بعيدا من التأنق والتعقيد.

أمّا الحرمان فقد كان نصيب الكثرة الكثيرة من المناسب في هذا العصر التي كانت تعيش في فقر وبؤس وإملاق وبين براثن الجوع والمرض والموت، وهذا ما انعكس على الأدب بالتسول والكدية من جهة وبالشكوى من جهة أخرى، وكان أدب التسول صورة لطائفة من الناس تذكرت بها الأيام فلجأت إلى ألوان الحيل لكسب العيش، والذين عرفوا بالساسينيين فكانوا يضربون الآفاق من بلد إلى آخر وكان مبدأهم "الغاية تبرر الوسيلة" وقد كانوا طائفة من رجال الشعر والقصص".¹

وأما "أدب الصنعة" والتنمق فقد بلغ أوجه في هذا العصر حتى أن التزويق أصبح غاية والكتابة أصبحت مزيجا من زخرف أنيق وموسيقى لفظية غنية، وحتى أصبحت تطريزا تصويريا موسيقيا، وشاعت صناعة التضمين، ونزع الأدب إلى اللفظية والحرفية التي أغرقت المعنى الضئيل في بحر زاخر من الأسجاع والاستعارات وشتى ضروب البديع".²

وهذه مختلف الآراء التي تضاربت حول نشأة المقامات وجملة الظروف التي ساهمت في نشأتها والتي تأثرت فيها بشكل أو بآخر، وتركت فيها صدى، خاصة من حيث المضمون أكثر من البناء والشكل.

¹ - ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 616-617.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 617.

الفصل الثاني

الأبعاد الاجتماعية في لزوميات السرقسطي

✓ توطئة:

نحاول في هذا الفصل التطبيقي أن نقف عند مجموعة من الظواهر والأبعاد الاجتماعية التي صورتها لنا مقامات السرقسطي، ونستهلّ حديثنا بتقديم نبذة موجزة عن حياة (أبي الطاهر محمد يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي ت 538هـ) وتعريف بمقاماته التي سماها ((اللزومية))، ومن ثمّ نشرع في تقديم قراءة نرصد من خلالها البعد الاجتماعي للمقامات في ضوء نظرية الانعكاس.

1. مقامات السرقسطي (اللزومية):

أولاً. نبذة عن السرقسطي (ت538هـ):

هو أبو الطاهر محمد يوسف بن عبد الله التميمي، من أهل سرقسطة يُكْتَبُ بأبي الطاهر، ويختلف هذا الاسم من مصدر إلى آخر فقد اضافت بعض المصادر إلى سلسلة نسبة بعض الأسماء، وأخرى حذفها، فقد أضاف لسان الدين بن الخطيب والسيوطي إلى سلسلة (المازني)، وأضاف إلى ذلك ابن الأبار والضيبي الإشتراكوي (نسبة إلى الإشتراكوي، وهي قرية تبعد عن مدينة سرقسطة بسبعين كيلومترا) وينفرد عمر فروخ بذكر القرطبي، ويبدو أن هذه الألقاب كانت تختلف في شيوعها بين المراجع، فبعضها كان مألوفاً ومشهوراً مثل السرقسطي والإشتراكوي أو الإشتراكوي، وبعضها الآخر كان يقتصر على مراجع معينة مثل: القرطبي والمالكي.¹

إنه من مواليد الثغر الأعلى الأندلسي، ومسقط رأسه مدينة سرقسطة في قرية تسمى الإشتراكوي، ويبدو أن المؤلف انتقل إلى مدينة سرقسطة في الأندلس، واضطر إلى التنقل والترحل في عدة مدن أندلسية ومنها انتقل إلى شاطبة وأخذ العلم عن أحمد الركلي.²

وفي قرطبة أخذ عن عاتب، وكذلك راسل نفرا من العلماء في فنون مختلفة من العلم الأدب، ومن هؤلاء أبو الحسن بن الباذش في غرناطة، وابن العربي في إشبيلية.³

ويظهر أنه لم يقيم برحلة إلى المشرق لتكميل دراسة والسماع من كبار العلماء كما اعتاد علماء الأندلس أن يفعلوا آنذاك، ورغم ذلك فقد نهل من ينابيع المشرق مما وصل الأندلس من آثار المشاركة كالحريري. خلال القول أن كاتبنا

¹ - يُنظر: نور المرعي المدروسي، السرد في مقامات السرقسطي، دار الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009، ص 14.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 14-17.

³ - يُنظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين - القاهرة - مصر، ط1، 1982، ج5، ص 237.

حصل قدرا كبيرا متنوعا من العلوم، كعادة علماء عصره في الإحاطة بجوانب متعددة من المعرفة، وتوفي السرقسطي مساء يوم الثلاثاء في 21 من جمادى الأولى من سنة 538 هـ.¹

ثانياً. المقامة اللزومية:

حظي فنّ المقامة في الأندلس باهتمام كبير، فقد تبوّأ أدباء الأندلس هذا الفن وأبدعوا فيه حيث نجدها قد سارت على منوال المقامات المشرقية إلا أنّها تقلد لها.

ويظهر هذا التقليد في مقامات السرقسطي الذي نسج مقاماته على طريقة الحريري، فمثلا هذا الأخير وضع 50 مقامة واتبعه السرقسطي في ذلك حيث نجده قال في مقدمة لزوميته:

" أمّا بعد حمد لله العلي العظيم، والصلاة على المصطفى النبي، فهذه خمسون مقامة أنشأها أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي بقرطبة مدن الأندلس عن وقوفه على ما أنشأه الرئيس أبو محمد الحريري بالبصرة أتعب فيها خاطره وأسهر ناظره"².

وقد أطلق السرقسطي على مقاماته اسم اللزومية كما يوحي اسمها بطريقة أبي العلاء إذ بناها على لزوم ما لا يلزم"³. فقد اهتم السرقسطي بالسجع كثيرا، ونجد هذه المقامات الخمسون "منها ست وعشرون مقامة مسامة وأربع وعشرون غير مسامة"⁴.

فمثلا غير المسامة ذكرها بأرقام مثلا المقامة الأولى، الثانية... أمّا المسامة نجد: البحرية، الفارسية، الثلاثية، المرصعة... وقد تناول أبي الطاهر في لزوميته موضوعات متعددة منها: الاجتماعية والسياسية والنقدية.

¹ - يُنظر: المرجع السابق، ص 17.

² - أبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي، المقامات اللزومية، تح: حسن الوراكلي، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، د ط، 2006، ص 17.

³ - قصي عدنان سعيد الحسيني، فن المقامات الأندلس، نشأته وتطوره، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1999م، ص 14.

⁴ - المرجع نفسه، ص 36.

2. نظرية الإنعكاس في الأدب:

تعدّ نظرية الإنعكاس في الأدب إحدى نظريات النقد الحديث، وتتصل إتصالاً مباشراً بأطروحة "إتجاه الماركسي"، ويظهر من تسميتها أنها تنظر على الأدب بأنه يعكس القضايا في المجتمع الذي يتحدث عنه، فتجعل مرآة للواقع وللمجتمع، و تعتمد على الفكر المادي الماركسي متمثلة بأن الأدب إنعكاس للواقع الاجتماعي، ولكن هذا الإنعكاس ليس آلياً ولا متوازياً ولا بسيطاً. وإنما هو عملية معقدة، فقد تكون الأعمال الأدبية الممثلة للواقع ممثلة لهذا الواقع أو تكون رؤية تجاوزية تسعى لتغيير العلاقات المجتمعية وهدمها، لبناء مجتمع أفضل.¹

وتنظر نظرية الإنعكاس إلى الأدب على أنه فعالية إجتماعية، فهو تجربة إنسانية يكون الهدف من الادب عمله الادبي، بحيث يؤثر في المتلقي وشعوره، لكي يساهم في تغيير واقعه الاجتماعي نحو الأفضل.²

ويعتبر "لوكاتش" من اشهر العلماء الذين تبنا رؤية "كارل ماركس" عن الإنعكاس الذي تعمق في العديد من المصطلحات و المفاهيم الماركسية مثل: البنية الفوقية، البنية التحتية، بإضافة إلى انه تحدث عن الوحدة الشاملة التي تعني ان الأدب لا يعكس الإنطباعات الأولية للحس، ولا يكتفي بتصوير مظاهر الواقع. إنما يصور عمقه وعلاقاته التي تظهر وحدته الشاملة.³

كما يهتم أيضا بمفهوم النموذج الذي حاول من خلاله أن يطوّر دلالة الإنعكاس، والنموذج يعني شخصية من الشخصيات التي تعد رمزا بصفة أو بأخرى مثل: سيزيف، والسندباد و هاملت، وغيرها بحيث يستخدمها الادب بطرق مختلفة في الأدب فتصبح الشخصية رمزا في الإطار العالمي.⁴

¹ - يُنظر: شكري الماضي، في نظرية الادب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص77.

² - المرجع نفسه، ص77.

³ - يُنظر: صالح زياد، آفاق النظرية الادبية: من المحاكاة إلى التفكيكية، دار التنوير للطباعة و النشر، تونس، ط1، 2016م، ص65-67.

⁴ - المرجع نفسه، ص67.

ويهتم "لوكاتش" أيضا بمبدأ الإلتزام الذي يعد احد المعارف الأساسية في نظرية الإنعكاس عنده، وهو علامة دالة على الفن الواقعي الإشتراكي الذي يتبناه ويمثل مفهوم الإلتزام موقفا إيجابيا أو سلبيا من الوقائع في زمن الكاتب.¹ ويمكن القول أيضا إن المفهوم اللوكاتشي الخصب للإنعكاس ليس تغييبا للبعد الجمالي في النصب الأدبي كما هو الحال لدى النقاد الأيديولوجيين، وإنما هو تأكيد له، فالعمل الأدبي العظيم الذي يستوعب الواقع الإجتماعي وينفذ إلى الجوهر الذي فيه، ولا يمكن أن يكون منحطا من الناحية الجمالية، وعلى هذا الأساس فليس هناك أي تناقض بين فكرة الإنعكاس والخصوصية الفنية. لقد كان لوكاتش كثير الإلحاح على هذا الجانب في قراءاته للواقعية البورجوازية . ففي تحليله لنصوص الواقعية الروسية.² ففي تحليلته لنصوص الواقعية الروسية يخلص إلى ان: " تأكيدنا الأساسي في هذه الدراسات ينصب على تحليل الجمالي لا الإجتماعي. ولم يكن إستقصاء الأسس الإجتماعية إلا وسيلة للإستحواذ على الشخصية الجمالية الكاملة للواقعة الروسية الكلاسيكية".³

إن الرواية بوصفها أكثر الأنواع الأدبية إلتصاقا بالواقع ليست مجرد إفرانزاً للتحويلات الإجتماعية، ولا يمكن إختزالها إلى صرخة إيديولوجية، إنما هي قبل كل شيء صياغة جمالية، قد تتجاوز الذات المبدعة لتفصح عن صوت آخر قد يتعارض مع هذه الذات نفسها.⁴

¹ - يُنظر: صالح زياد، آفاق النظرية الادبية، ص 69.

² - عبد الوهاب شعلان، المنهج العتتماعي وتحولاته من السلطة الأيديولوجيا على فضاء النص، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، دت، ص 41.

³ - لوكاتش، دراسات في الواقعية الأوروبية، تر: أمير إسكندرن الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د ط، 1972م، ص 38.

⁴ - عبد الوهاب شعلان، المنهج الإجتماعي وتحولاته من السلطة الأيديولوجيا إلى فضاء النص، ص 41.

3. البعد الاجتماعي في مقامات السرقسطي:

عند قراءة النص اللزومي السرقسطي الذي نحن بصدد دراسته تبرز لنا رؤيته رئيسية ألا وهي التناقضات السلوكية في المجتمع العربي وهذه الرؤية تبرز فيها- فيما يرى الباحث- كمغزى رئيسا في مجموعة مقامات النص.

يرى السيد احمد حسن ان "أزمة الإنسان العربي الذي رأى الباحث صورته في مقامات هي نفسها أزمة الإنسان العربي الذي يراه اليوم، وإشكالياته الاجتماعية هي تقريبا نفسها، وإذا تذكرنا ان النص مكتوب منذ ما يقرب من ألف عام، وقبل ان تظهر القصة القصيرة، وقبل ان يولد المذهب الواقعي بمئات السنين، فإننا نشعر بزيادة السرقسطي وجرأته ولا يستطيع التأمل للنص إلا أن يشهد بالتطور الكبير في الرؤية، قياسا للمقامات الهمدانية ثم الحريرية، ذلك إن الغاية التعليمية لا تكتفي هنا أبدا لتبرير تلك الجهد الإبداعي و الإستقصائي الاجتماعي الناجح".¹

وفيما يلي من سطور سنحاول أن نرصد أبعاد الظواهر الاجتماعية في نص المقامات اللزومية للسرقسطي.

أولاً. ظاهرة الكدية:

تعدُّ الكدية ظاهرة من الظواهر الاجتماعية المنتشرة بكثرة في المجتمع الأندلسي، وقد بدأت في حدود ضيقة (القرن 6 هجري/ 12م)، ثم توسعت بسرعة فائقة نتيجة التحوّلات الاقتصادية التي شهدتها المجتمع المغربي الأندلسي، وهي ظاهرة خطيرة ولها أثر من آثار الفقر الاجتماعي صعبة على النفس في الحس العربي، مرة المذاق، يقول الأحنف الكعبري:

عَدْلُ العَدُولِ إِذَا عَدَلْ

أَقْضَى عَلَيَّ مِنَ الأَجْلِ

لِ صُدُودِ إلفٍ قَدْ وَصَلْ

وَأَشَدُّ مِنْ عَدْلِ العَدُوِّ

¹ - محمد السيد أحمد حسن، صورة المجتمع الأندلسي في المقامات اللزومية للسرقسطي، مخطوط بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الادب

العربي، النقد الادبي، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2019م، ص42.

وأشدُّ من هذا ودًا

طلبُ النوالِ مِنَ السَّفَلِ.¹

ويقول أيضا: "علي بن أبي طالب رضي الله عنه" لأصحابه: "من كان منكم في حجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة"².

يتضح لنا من خلال هاته الأبيات بأن الكدية عبارة عن إمتهان طلب المال من الناس بأي وسيلة كانت ويكون عن طريق فئة معينة من الناس يطلق عليهم بإسم "المكدين" وهم عبارة عن مجموعة من المتسولين يتحولون في الطرقات و ينشدون مقاطعا من الأغاني الشعبية ليثيروا إعجاب المارة و ينالون عطفهم.³ وهذا ماورد في النص اللزومي السرقسطي، حيث أن شيخ السدوسي إنتهج مثل هاته الأعياب الإستعطاف الناس و نلتمس ذلك بشكل واضح في مقامة الحمامة حيث أنه ستجدي الناس ويستعطفهم على حمامته، طالبا منهم عتقها من مصيدة الصياد، وذلك بإعطائه المال وهذه الصورة تعكس لنا حالة المجتمع الأندلسي في زمن "السرقسطي"، بمعنى آخر ان السرقسطي صور لنا عبر نصه اللزومي حالة المجتمع في تلك الحقبة الزمنية بحيث أن السرقسطي تأثر بالواقع الإجتماعي الأندلسي في القرن السادس هجري وصوره لنا على شكل نص أدبي يعكس لنا جوهر الواقع، المعاش ونقله لنا نقلا جوهريا فكريا لا نقلا حرفيا آليا هذا يبرز لنا بأن النص الأدبي يعدّ مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي؛ أي: إنّ هناك علاقة جدلية متبادلة بين النص الأدبي و الأدب يؤثر فيه، والانعكاس هنا لا يقصد به انعكاس الأشياء في المرآة ونقلها كصورة طبق الأصل (حرفي، آلي) من حيث هي موضوعات ولكن الانعكاس إنّما هو وعي - جوهر - متبادل بين الموضوع المدرك والذات المدركة بطريقة جدلية.

¹ - بن فائدة خالدية، بلهلول ربيعة، الكدية واهلها ببلاد الاندلس في العصر الوسيط، مخطوط مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستير تخصص: تاريخ الغرب

الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون-تيارت-، 2019-2020م، ص25.

² - سيف الدين سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، ط1، 2010م، ص101-102.

³ - أنجيل جانثالث بالثنيا، تاريخ الفكر الاندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، د ت، ص160.

يقول لينين: "المعرفة ليست إنعكاسا في المرآة بل هي "فعل" معتد فعل من عناصره امكان التحليق بالخيال خارج الحياة بل امكان تحويل المفهوم المجرد الى فكرة متخيلة لان في العميم الاكثر بدائية بعضا من الخيال في أكثر العلوم الحديثة.¹

وهذا ما جاء به أيضا الفيلسوف الناقد جورج لوكاتش الذي يرى بأن: "العمل الأدبي لا يعكس الواقع من خلال رسم مظاهره الحسية، وإنما ينقل تجربة إنسانية حية ومعقدة، أي ينقل رؤية فنية للعالم، الإنعكاس ليس إدراكا مباشرا وسريعا او التقاطا للعوارض بصورة مسطحة، وبمنأى عن النقاد إلى الجوهر إنه القدرة الإبداعية على الإمساك بالكلية الاجتماعية بغية الغوص في ماهو كامن خلف الظواهر الحسية، وما يمثل حقيقة جوهرية".² بمعنى آخر يرى لوكاتش ان العمل الأدبي لا يدرس الواقع الحسي، إنما يهتم بدراسة ما وراء الواقع و الكشف عن جوهره الذي يعبر عن الحقيقة الكلية المخفية وراء الواقع الحسي.

وهذا ما إستعمله او إستخدمه السرقسطي في نصه اللزومي نقل لنا تجربة إنسانية حية ومعقدة الا وهي ظاهرة الكدية او التسوب عن طريق بطله الشيخ السدوسي الاديب المتسول الذي لديه القدرة على التلون و الخداع في سبيل الحصول على المال بالحيل وأساليب إبداعية يظهر بالمظهر المستحق، ونجد لها أكثر من شاهد في المقامات (الدب، الحمامة، القردية).³

أظهرت هذه المقامات طرق الكدية و الإستعطاء و بينت أفانين الجليل وألعيب، حيث ان الشيخ السدوسي أبدع في مراقبة القرد، ومداعبته وتكليمه، محاولا جلب الإنتباه ليقضي بما عنده من جبل مستغلا القرد للوصول إلى غايته ألا وهي شد إنتباه الناس من حوله، وهذا ما يبدو جليا وهو يقول: "أيها الناس، اللهو ضرور، والكريم

¹ - رجاء عيد، فلسفة الإلتزام في النقد الأدبي بين النظري و التطبيقي، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1988م، ص135.

² - عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي وتحولاته من السلطة الأيدولوجية على فضاء النص، ص41.

³ - مصطفى السعدين، البنات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مطبعة رواج الإعلان، الإسكندرية، دط، 1987م، ص 136.

طروب، والأنس خلوب، والدهر طلوب، والناس طالب وملوب، وإنما هي نفوس وقلوب، تحدثنا بالأصحال، وتسرح من العقال، وهي الحاجة و الفاقة، والدهر شرة وإفاقة، وصحبة ورفاقه، وقد تمتعدهم نده اللع، وحظيتم بالراحة من غير تعب، وللضيف حقوق، وترك البر عقوق".¹ بمثل هاته الكلمات يستمر الشيخ السدوسي بمخاطبة الناس للوصول إلى النقود التي هي مراده، وقد يستعمل حيلاً أخرى بجانب الحيلة السابقة مثل إتخاذ عياله، وأطفاله وسيلة للكدية، فنراه يقول في المقامة نفسها: "ورائي أصيبة أطفال، وورائهم من الصون إغلاق وإفقال، يرتقبون كل قافل. ثم أنشأ يقول:

لَوْلَا أَطْفَالُ كَرْغِبِ الْحَمَامِ	***	مَا بُهْتُ بِالْعُدْمِ وَلَا بِالْحَمَامِ
وَلَا وَرَدْتُ الْمَاءَ رَنْقًا وَلَا	***	كَرَعْتُ إِلَّا فِي الْعَذَابِ الْجَمَامِ
الطَّرْفُ وَإِنْ يَهُم ظَالِعٌ	***	وَكَانَ لَوْلَا الْعُدْمُ عَمَرَ الْجَمَامِ
وَاللَّهِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَاحِبٍ	***	إِلَّا كَ يَا دِرْهَمٌ وَافِي الدَّمَامِ. ²

فشيخ السدوسي هنا لا يصرح بالكدية وإنما يتقدم إليها رويدا رويدا وهذا إبداع ادبي بإمتهاز فهو يقدم و يمهّد ويسهل الطريق للوصول غلى مبتغاه المتمثل في الحصول على المال.

كما تبرز أمام القارئ لوحة أخرى من لوحات الكدية يكشف فيها السرقسطي أساليب مبتكرة ومختلفة تلائم تغير المكان والزمان، فتراه يصور ذلك في مقامته السابعة والثلاثين الا وهي مقامة "الحمامة" وهو يستجدي الناس ويستعطفهم على حمامته المسكينة المريضة طالبا منهم عتقها لانها وقعت في مصيدة صياد بإعطائه المال، ولكن طريقة تسوله وطلبه للمال لم تكن مباشرة إذ استتر وراء أسلوب منمّق وملتوي يدفع السامع إلى العطاء عن طريق الحيلة والخداع، فإن بلاغة الأسلوب والمعرفة بأفانين ال

¹ - أبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي، المقامات اللزومية، ص359.

² - المرجع نفسه، ص360.

قول تسحر المتلقي وتجعله مرهونا بالمتكلم المخادع وهذا إبداع أدبي و لغوي وفني بحيث ان السدوسي أبدع بجعل المتلقي يحس به و يعطف عليه بدون أسلوب مباشر وأبدع أيضا في إيصال إنفعاله لناس البسطاء، فهذه المقامة تعتبر نص أدبي عاكس للواقع الاجتماعي المعاش الذي يتمثل في ظاهرة التسول بطرق منمقة غير مباشرة ومن غير إبتدال وتكلف حيث ان السدوسي يستجدي الناس قائلا: "أين منك مرید جارح ليس ببارح، وأسيد صائد ليس بعائد، وشاج باك، أحميد يضيق به الجوى، وبناك لا يفرع فننان ولا يمر عننان وقد كان يضيق به الجون ولايسعه الدوا فما هو اليوم، في بيت أضيق من القبر، وحال أنكر من إبر الدبر ساعاته أطول من الدهر، وانفاسه من البهر، ولا يقلب ريشا، ولا يسهو عريسا، ولا يلقلص حبا، فهل رأيتم كمثاها من فاقد إلف، وعاقد حلف، نزع به الشوق ما نزع الدهر ووزع؟ فهل فيكم من يرق لها ويشفق، ويرسل درهمه وينفق، يفك رهنها، ويرد رهنها؟ والله لولا صبية أطفال وجملة أغفال، أرسلوني وانتظرو، وما لمحو غيري ولا نظرون لأرلتها كرما أنها حرما، لكن رجوت عطفًا، وأملت ملاطفًا، ويجعل الردهم لها فداء ويمد بها إلى إلفها هداء".¹

فهو هنا كما قلنا سابقا يستعطف الناس لفك رق الحمامة وذلك بإعطائه المال فوسيلته في كسب المال اشبه ما تكون بمصيدة يقع فيها كل من لم يعرف فيميل الى التعاطف معه. فيسرد قصة كاملة عن هذه البائسة وملاقته من حبس وحرمان، وصولا إلى طلبه المباشر للمال، جاعلا عياله وإنقلاب الدهر به حجة وذريعة للتسول.

"هذه الحيل والممراسات السلوكية صورها السرقسطي مشيرا الى تفشيها في مجتمعه، عاكسا أساليب الكدية الجديدة التي تنوعت بتنوع المجتمع وطبقاته ودخول أفواج كبيرة من بني ساسات والفجر، وما يحمله هؤلاء من ثقافات وحيل سلوكية معينة، وانفتاح في العلاقات الاجتماعية".²

¹ - المرجع السابق، ص352.

² - باسل مولود الطائي، سفانة شعبان الصافي، تطور المقامات في الأدب الأندلسي - السرقسطي أمودجا-، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية:

كما يصوّر لنا السرقسطي أيضا عبر نصه الأدبي صورة أخرى من صور الكدية التي تبرز لنا طرق المكدي و أفانينه في كسب المال عن ريق مقامة "الدب" حيث انه أبدع في مراقصه والناس من حوله مجتمعون ويقول: " فإذا بشخص مزمل في كساء بين صبيه و دساء، يعدو ويرقص، ويزيد من حديثه وينقص، وإذا في يده سلاسل، وحيوان كربه المنظر وباسل، يوخذ يرقصه، ويتوقع مواقع زيه ونقصه، وقد شحا فاه بعود، واخذ في هبوط من اللهو وصعود، وهو يقول: " إسمعو ما قال أورياج ذو اليسر والرياح، الذي ليس له زئير ولا نباح(ونثيم و عواء) ولا صياح، المشتار العسال، والمغوار النسال، عدو النحل وأسيوا الوحل".¹

وهذه الصور مثلما تبين لنا طرق المنتهجة لكسب المال بكل راحة بدون تكسب تبين او تعكس لنا أيضا حال الإهمال التي كان يعاني منها الادب والأديب في المجتمع، فالأدب مهمل لا يحترم ولا يقدر، والأديب لا يجد ما يقيم اودحا، و يطعم عائلته غير مراقصة الدب، فعندما رأى الراوي بطل المقامة: "أبا حبيب" وهو الأديب البليغ الفصيح برقص الدب و يداعبه وجه نقدا مخفيا لاذعا لمن إضطره لفعل ذلك، حتى إنه يقول للأديب إن الموت أفضل لك من هذه الحال.² يقول: " أب حبيب: أبا الدب ترتزق، ومع الفتيان تتمزق؟ لقد سفل نجمك، ورذل حجمك، وخف وقارك، وطال يقارك، وساء مالك، وعز سرايك وآلك، ولوم سعيك، وحرم رعيك ووجب نعيك".³

يظهر في النص السابق صورة الحقيقي للمجتمع في عصره، فهو مبني على ترف نخبة من الناس ولا يلتفت إلى الفقرا من أهل العلم والأدب حتى غنهم لا يجدون تكريم لعلمهم مما يضطرهم للكد على حساب كرامتهم ومكانتهم

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، مقامات الزومية، ص 330-331.

² - مسلم عبيد الرشيد، صورة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المقامات الأندلسية- مقامات لسان الدين الخطيب والسرقسطي انموذجا، مجلة الآداب - جامعة المستنصرية، المجلد 640، العراق، 2020م، ص14.

³ - أبي الطاهر السرقسطي، مقامات الزومية، ص332.

العلمية والادبية إبتغاء الحصول على لقمة العيش، بعد ان تدنت مكانتهم، حتى صار العالم او الاديب يعمل في ترقيص الدب ليكسب وفرا وغنى.¹

يعد البطل في مقامات السرقسطي ذلك البطل اللعوب الذي يستعمل الأساليب والحيل التي كان يستعملها بطل مقامات الحريري، ومن أمثلة ذلك بطل المقامة الرابعة التي تحدث عن طبقة المتسولين وإن كان طلب المال متسترا، لكنه أسلوب يدفع السامع إلى العطاء الجزيل فالإطار العام للمقامة وهو الحكمة والموعظة، وعند تأملها نجد عنصر الكدية يبرز فيها تلقائيا عن غير قصد أو تكلف وخلاصة المقامة نجد ان البطل " أب حبيب" عكته الأيام وحنكته التجارب يمر بجماعة من الرجال، و يتوسطهم واعظا بعضهم في أمر دينهم وديناهم".²

ومن جملة ما وعظهم به الحث على العطاء قال: " أيها الناس إنما أنتم أنواع وأجناس، منكم الجليل والحقير، والشفية والحليم، والجهول والعليم، والبذيه والخامل، والعاطل والعامل، والصحيح والسقيم، والطاعن والمقيم، إني منكم لإبن السبيل وأخوجي وقبيل، ولكن ذوتني عنهم الأقدار وتناءت بيني و بينهم للدار، اهدي إليكم من خبري غريبا، وأبينه منكم غافلا وأريبا كنت أبنا لبعض الأقيال، وأسحب فضل الأذيال، وأهيم بذات الخال وأشتمل ثوب الزهو والخال، وأرتع في روض الهوى والمجون، واستهدي الصباية بين نجد والحجون، حتى اختر منه يد الحمام، وصار أمرنا إلى تمام، رغب عين الولي والحميم، وزهد في الوسيط والصميم، وقام في الأمر في قالم، إلى حين نام في غائم، أحل بالعهود والذمم، وغار من ذوي المراتب والصمم فأصارني طريدا، وغادرني سديدا، أعتام الكرام وأتسوق الحلال والحرام وربما سفتت التراب،

¹ - مسلم عبيد الرشيدى، صورة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المقامات الأندلسية، ص14.

² - جمانة إبراهيم داود، صورة المجتمع في المقامات الأندلسية، مخطوط رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق-

ووردت الآل والسراب، وأولى إلى زغب الحواصل كالأسنة والمناهل، يتطلعون إلى تطلع الغريم و يستعطفوني إستعطافا كريما، فما يظنون بي وقد جئتهم صفر الوطاب خاوي الإحتطاب".¹

تظهر المقامة النموذج المكدي من نقد سلوكيات حياة الناس التي تقوم على الرياء والنفاق، فهو في بعض المواقف خطيب يعظ الناس على البر والمبادرة بالحسنة وفي مواضع اخرى يكشف شخصية الماجنة بإرتياده الحانات.

ثانياً. العادات والتقاليد:

يلجأ السرقسطي في المقامات إلى وصف عادات الناس والتعريف بتقاليدهم في الحياة ، فالمقامة صورة مختزلة للمجتمع الذي كتبت فيه، وفضلا عما تمتاز به من الطرافة الادبية، والأهمية التاريخية، فهي تمثل وثيقة اجتماعية في التعرف على عادات الناس و انماطهم السلوكية.

ومنه مقامة السرقسطي المقامة "البربرية" يزور بطل المقامة الشيخ "أبو حبيب" مدينة طنجة في شمال إفريقيا، ويصور طبيعة مجتمع البربر وعاداتهم ولغتهم و يصف فيه مظاهر الحياة البربر الإجتماعية، ويوثق عداء الطبقة الأندلسية المثقفة للبربر ونصالحها من اجل توكيد إستقلاله، يقول في أهل طنجة: "وجدت نفسي بين اناس كالنعام او البقر بين شعب كالأفاعي، او الضباع لم أستطع فهم كلامهم ولا يتفق تفكيرهم مع اي تفكير، شعرت وكأنني وقعت بين حيوانات مفترسة، او كراع بين حيوانات لا تقار ولا تستقر، ولا تربط ولا تصبر، كنت أسمع عن الاندلس وعن ثقافتها ومهرجاناتها وغناها حتى إن صدري إلتهب شوقا إليها وغذوت مستعدا لتضحية بأثمن ما أملك من أجلها".²

يصور السرقسطي في المقامة التاسعة والثلاثين طبائع البدو من الجفاء وقسوة القلوب، ويبدأ بطل المقامة أبو حبيب حديثه إلى من تجمع حوله بقوله: " أيها البداية، يا أيها العداة، بدوتم فجفوتهم، وعدوتم فما رفوتهم، قسوتهم قلوبا،

¹- أبي الطاهر السرقسطي، المقامات اللزومية، ص 42-43.

²- المرجع السابق، ص 385.

فنزرتهم حلوبا، ما اغرب لؤمكم، واكثر ملومكم، فأنا قد جتتكم بالنوانر وحذرتكم من البوادر، فما أجبتم مقالا، ولا حللتهم عقالا، ولا بض لكم حجر، ولا أنيح بواديكم شجر، وما رأيت مثلكم امة جفت منها الطباع وفضلتها الوحوش والتباع".¹

وفي المقامة الخامسة عشرة للسرقسطي يقف الكاتب موقفا سلبيا من البدو، فنرى السائب بن تمام وقد حل ببلاد الزاب، مبعد الاهل والأحزاب فأقام بين "قوم" قد استولت عليهم البداوة، واستطارت بينهم العداوة".² ويمكن الغطلاخ في هذه المقامة على جانب من حياة الأعراب، وبعض عاداتهم وإكرامهم الضيف وأطلعنا على طائفة من ذلك من خلال مقامته.

فبعد ان إرتوى السائب مال إلى ظل طراف : "قد حشي بأشراف وأضيف إلى سمو وإشراف، أسمع أكاذيب العربان وأعاجيب الذوبان، وأسرار القيافة وأسباب الزجر والعيافة، وكيف الفتك والتصعلك، والقهر و التملك، وكبف يصاد الظليم في دوه، والعقاب في جوه، وما الذي يخرج الضباب من أجحارها، والنينان من بحارها".³ وتدور في المجلس مساجلة بين بدوي وحضري، ومفاخرة بين يميني ومضري، وهذا النوع من التعصب القبلي شائع بين العرب منذ اقدم العصور، وأكثر ما وجدت آثاره في الاندلس خلال السنوات الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي لإسبانيا على يد طارق وموسى، عندما شغل الفاتحون بما وقع بين بعضهم البعض من مخاصمات وحروب وعداوات بين قبيلة وقبيلة، وبين البربر والغرب وبين الشامية والمدنية.⁴ فقال على لسان بطله السدوسي: "لا جرم أنه القول والجدال، والكلم يعاقب ويذال، وما تباين نوع من جنس، ولا تباعد فرع من قنص*، وإنما هو التعصب

¹ - المرجع نفسه، ص 365.

² - المرجع نفسه، ص 149.

³ - المرجع نفسه، ص 149.

⁴ - أبو الحسن علي بن بتمام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1978م، ج3، ص

427 وما بعدها.

والإحتماء، والإعتزاء والإنتماء، ونحن معشر العرب، نميز النبع من الغرب، ونفاخر بالأحساب، ونحافظ على الانساب، همم أبية، وجاهلية عبية، لم يرددها الإسلام والإيمان، ولا محتها الايام والأزمان¹. بمعنى نلاحظ كيف قام بغظهار جوانب القدرة الفتقة للبطل على إستغلال الظروف والبيئات المختلفة من البدو و الحضر ليجعلها مسرحا لاحداث مقامته.

كما تناول الكاتب الجانب الأكثر بروزا في حياة الاعراب وطباعهم وهو جانب القسوى والتخريب عندما صور في مقامته (التاسعة والعشرين) قال: خرجنا في جماعة ذات قيروان ، حتى مررنا بمدينة القيروان، ومع نفر من فتاك العربان، وصعاليك الذوبان فوصلناها وقد وطئنا الطريق، وتزائل الخليط منا والفريق، قد إستولت عليها الخراب، و ذهبت بدولتها الأعراب، فأعاضت حوضها وغديرها، وزلزلت خورنقها وسديرها². ويقارن بين هذه الحال التي وصلت إليها المدينة وبين حال سابقة لها ذكرته "كم ظغن" بها من ظاغن، وطعن في لبتها من طاعن، وكم كان بها من خود شعوع، وشهم زموع وروض مهضوب وبنان مخضوب وجنان وحرم وفضل وكرم وسرح ونعم وعوازف³. قد ولدت هذه المقارنة في نفسه مشاعر الكراهية والبغض الذين كانوا لبس في خراب المدينة العظيمة. قدم سرقسطي نقدا إجتماعيا متنوعا شاملا للحياة، ومظاهرها الإجتماعية، ذلك لأن الأديب يسعى إلى أن يعالج قضايا المجتمع.

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، المقامات اللزومية، ص 149.

*قص: الأصل

* الإعتزاء: الإنتماء صدقا كان او كذبا.

* العبية: الكبر و الفخر

² - المرجع نفسه، ص 256.

* الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، * الشعوع: اللعوب، * الرموع: السريع العجول.

³ - جمانة إبراهيم داود، ثورة المجتمع في المقامات الاندلسية، ص 261.

فقد صورت مقامات السرقسطي بعض المظاهر الاجتماعية خاصة عادات الأندلسيين وتقاليديهم وطعامهم وشرابهم ضمن إطار قصصي شائق، هذا وقد إهتم الأندلسيون بالحديث عن تقاليد مواطنهم وعاداتهم من خلال رحلاتهم، ومنه قصة الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم التي سردها للمعتصم باللهن صاحب المرية في (طي المراحل).¹ يقول في سي رحلتهم: " ما أجاى ني حب الراحة، ولا طلب إلا الراحة، وإنما أناي حكم شرع وأداء فرض، فهو كالحج لا يحل فيه الصيد، فهو الحج فيها شيء من أعمال الناس، ولا بد أن آخذ فيما فيه شخصت، ولو قصدت، وإنما من كلمات كدودة وألفاظها معدودة".² وعليه فقد تبين لنا ان بعض كتاب الغرب الإسلامي لم يوضحوا مقاماتهم على موضوعات مطروقة ومستهلكة بل حاولوا أن يجعلوا المقامات تعكس حياتهم ومشاعرهم ، فالمقامة تنوعت بتنوع موضوعاتها.

¹ - أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3، ص 427 وما بعدها.

² المرجع نفسه، ص 428.

ثالثاً.. ظاهرة الشكوى:

إنّ أولى الظواهر الاجتماعية التي لاقت رواجاً واسعاً في العصر الأندلسي ظاهرة الشكوى من الزمان والمصائب، ذلك بسبب الظروف التي آلت إليها بلاد الأندلس من صراعات أدت إلى عدم الاستقرار مما أدى بدوره إلى غضب الناس ورفضهم لهذه الظروف.

فقد كانت أيام المآسي قد طغت على أيام السعادة عندهم فإنهم عانوا ثمانية قرون متلاحقة ما عرفوا للسعادة طعماً "ومتى علمنا ان الواقع التي نشبت بينهم وبين الفرنجة بلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة واقعة إلى جانب ما قام بين فئاتهم المختلفة من فتن داخلية".¹ ادركنا في أي تيار من القلق والحذر كانوا يعيشون، الأمر الذي جعل ذلك كله ينعكس على الشخصية الأندلسية، فالأندلس منذ بداية تاريخها إلى نهاية الفترة الإسلامية فيها وهي تتعرض للزوايا وكثرة المصائب ولهذا فإن إيمان عد ابن عبد ربه قد جعله ذلك لكاتب الذي لا تتبع كتابته من إندفاع زائفاً، وإنما كانت إستجابة لوضع معيشي متوقع.²

عانى أهل الأندلس عامتهم وخاصتهم من العلة الكثيرة، مما أدى إلى وجود شكوى في شعرهم... كما ان المصائب في الأندلس قد أذلت الكثير من أهلها، فكم من ملك أو أمير أو مسوء أذله الدهر.³ ناهيك عن العامة فالأندلس محل السيوف والتشريد و التكبير وما قول الشاعر الآتي من فراغ:

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسٍ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
كَمْ يَسْتَعِيثُ بِنَا الْمُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ⁴

¹ - عبد الله بن علي بن ثقافة، بحوث في الادب الأندلسي، الشكوى من العلة في أدب الأندلسي، مكتبة التوبة، ط1، 1996م، ص5.

² - المرجع نفسه، ص 6

³ - المرجع نفسه، ص6.

⁴ - بيتان من قصيدة مشهورة للشاعر صالح بن شريف الرندي مطلعها، نفع الطيب من قصة الأندلس، ج4، تح احسان عباس، دار صادر، بيروت،

وقد عبرت المقامة الأندلسية عن مختلف الجوانب الحياتية في المجتمع، فأثرت تأثيراً عميقاً فيه وفي أوضاع الناس، وعلاقاتهم ببعضهم البعض، فنجد في بعض المقامات نقداً خفياً الأولى الأمراض الحكام، لإستعانتهم بالأعاجم وإتخاذهم بطانة من دون العرب ليست أثروا بالخيرات والثروات، وأخذ على بعضهم إساءتهم معاملة أهل العلم والأدب عندما كانت تتعارض مصالحهم مع ما كان يقول فيه هؤلاء من مقولات ومبادئ.¹

وهذا ما جاء في النص اللزومي السرقسطي، فالمقامة التي تعبر عن الشكوى هي وليدة مجتمعنا، فهو يعكس الظاهرة التي ادت إلى صعوبة الحياة وغدرها من الزمان والظلم المجتمع آنذاك وفساده فهو لا يزال يمل من أخلاق ومبادئ أهل الزمان فقد تدهورت الأوضاع والموازن في عصره وفسدت الأهوال وتفشت عسرة النفوس يقول شاكيا: "حتى رميتني الأيام بخطوبها وقابلتني بعبوسها وقطوبها وسلبتني ذلك الثوب القتيب".² يقصد الأيام التي مر بها بسبب الظلم، والإضطهاد وصعوبة الحياة آنذاك وظلم المجتمع ووساده.

كما صور صاحب هذه المقامة أعمال المكدي وحيله وراح يتحدث عن الظاهرة الاجتماعية البارزة وهي ظاهرة الشكوى التي تقوم على صعوبة الحياة، والمحن التي مر بها الناس شاكيا ما آل إليه عامة الناس فالعمل الأدبي هنا ينقل لنا تجربة إنسانية حية أي ينقل لنا رؤية فنية للعالم والواقع الاجتماعي الحاصل في العصر الأندلسي خاصة.

ويقول في موضع آخر: "فيا لك من دهر لا يبقى على أحد، ولا يبقى على مستأنس وحد، يعني بالقرب والبعيد، ويولع بالشقي والسعيد، ومن حق ذلك الفضل ان توصل أسبابه، وترفع قبابه، ويصال مذاله، ويحله

¹ - عبد الله بن علي بن ثقافة، بحوث في الادب الاندلسي، الشكوى من العلة في أدب الاندلسي، ص5.

² - حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية للسرقسطي، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية:

جيده وقداله، وانتم يا بني المكارم، وذوي الهمم والمكارم، رقوا الأفاضل و إعطفوا بالفواضل وإرحموا عزيزا ذل، وكثيرا قل، ومثريا أدقع، وحائم على مورءكم وقع".¹

إنّ إحساس المقامي بظلم الدهر له، وعبث الأقدار به وإحساسه بالفقر وضيق الرزق والفاقة قد دفعه إلى أن يلجأ للكسب والاحتيايل في الارتزاق عن طريق الكدية، الأمر الذي جعل القارئ يميل إلى التعاطف معه والإشفاق على سوء حاله، لإعتقاده بأنه شخصية قد صنعتها قسوة الحياة في عصره، والظروف الاجتماعية والإقتصادية غير العادلة.² وعليه فقد صور لنا المقامي الجانب الفردي وركز بشكل كبير على الناحية الشخصية، بحيث نجد ان نظرتة تعكس لنا الاوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة الصعبة.

إن العمل الأدبي رغم طابع الفردي فهو يعبر عن الجماعة، أي ان له بعدا إجتماعيا وكما يقول "ديليتي" في كتابه : مدخل إلى دراسة العلوم الإنسانية: "فإن الأدب هو الموقع الجدلي الذي تلتقي فيه عبقرية الفرد بروح الشعب".³

لقد كان لديليتي (1833-1911) فضل الإشارة لما يسعى برؤية العالم فهو يرى أن العلوم الإنسانية يناسبها أن يعيش الإنسان التحرية ويحسها وينقلها الآخرين.⁴ نقلت ظاهرة الشكوى في العصر العباسي الحياة الاجتماعية التي كانت يعيشها الناس في تلك الفترة الصعبة من معاناة وحزن وتدهور الاوضاع ومن هنا نقول إن التجربة الإنسانية قد تعايشوا معها وطوروها.

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، المقامات اللزومية، ص192.

² - حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الإجتماعي في المقامات اللزومية لسرقسطي.

³ - غولسان لوسيان وآخرون، البنية التكوينية والنقد الادبي، ترجمة جماعية، مؤسسة الأبحاث العربية، د ط، 1984م، ص113.

⁴ - المرجع نفسه، ص114.

رابعًا. ظاهرة الوعظ والتوجيه والتعلم:

يعدّ الوعظ فكرة من الأفكار القديمة في الأدب العربي، "فهي مطروقة منذ الجاهلية حين كان قسّ بن ساعدة

يخطب في سوق عكاظ وبحث الناس على التأمل والاعتبار".¹

وقد كثرت المواعظ الدينية في مقامات الاندلسيين وكان من اهم الأسباب التي أدت إلى وجودها بهذه الكثرة ميل

الاندلسيين إلى التمسك بالشعائر الدينية، في ظروف الإضطراب والفتن السياسية والاجتماعية، لذلك حرص كتاب

المقامة الأندلسية على ان يظهرها بصورة المعلمين والمصلحين الاجتماعيين.

وقد خصّص السرقسطي سبعا من مقاماته للوعظ، وكان هدفه فيها الدعوى إلى نبذ الدنيا ومغرياتها، والإستغفار من

الذنوب والتقرب إلى الله عز وجل، وابتغاء مرضاته. فنحن نقرأ في المقامة العشرين، قوله: " فبيننا انا ألاحظ الأهرام،

وأعين الاشخاص منها والأجرام، فاحقر نفسي وأذلها، وارجيها بالصفح وأعللها، والدمع قد انتشرت درره،

وانسكبت درره فإذا بصوت عال، وهو يقول: أين من شيد وأطال، وملك فاستطال؟ وكفر وتمرد... أين

فرعون ذو الاوتاد... أين ملة العصيان والعناد؟ بل أين الحشم والأجناد".²

يعتبر وعد الوعظ من أخص خصائص مضمون المقامات، حتى ظن الكثيرون ان أساس المقامة الوعظ،

وجاءت كثير من مواعظ المقامات سلبية في اهدافها وفي بعض جوانبها، إذ كانت تدعو في معظم الحالات إلى نبذ

الكسل، والجد في سبيل الحصول على الرزق، حتى إنه ليتمكن القول إن عمل بطل المقامة لا يكاد يختلف عن

اللصوصية كثيرا، لانه ينتحل شخصية واعظا أو زاهدا يخفي من خلالها حقيقة فساده وإستهتاره بالدين والتقاليد

بهدف الوصول إلى أهدافه، فيحطو والحال هذه " الوعظ مطية الكدبة".³

¹ - يُنظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة-، مصر، د ط، د ت، ص 297-298.

*قس بن ساعدة الايادي: أحد حكماء العرب ومن كبار خطاهم توفي نحو 23 ق هـ.

² - مسلم عبيد الرشيد، صورة الحياة الاجتماعية والثقافية في المقامات الاندلس، مقامات لسان الدين بن الخطيب والسرقسطي نموذجاً، ص 14.

³ - ينظر - مبارك مارت، مجتمع الهمداني من خلال مقاماته، مطبعة التري، دمشق، 1968م، ص 46.

وهذا ما يعكس صورة المجتمع في ذلك الحقبة الزمنية حيث ان الأديب تأثر بأحوال مجتمعه وبات يقلدهم في هاته الصفات بحيث أن "السرقسطي" من شدة تأثره بواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، وأبدع في تصوير صورة الواعظ المزيف، وهذا تأثير متبادل الذي يختفي خلف قناع الدين، ففي إحدى المقامات يتخفى بطل المقامة في صورة الواعظ التقى، فيسرق أمتعة المصلين وأموالهم. يقول في أسلوب قصصي مانع: "إنه صلى معنا العشاء، وأتى من حسن القول بما شاء، فعطف منا معاطف وجوانب، وأسأل منا متالع وذائب، ورغم أنه في غد راحل، وأن سوق تطويه المراحل، وسأل المبيت في المسجد مع كل مثله ومنجد، فأكرمنا عشاءه ووصلنا رشاءه، وأرحنا من نصبه وعيه وقمنا بشبعة وريه، فلما أصبحنا لصلاة الصبح، عثرنا من أمره على قبج، ووجدنا من كل معه قد سلبه ريشه وثلل عريشه".¹

- "ثم عاد وتذكر في زي الوعاظ"، وهذه صورة إبداعية صورها لنا "السرقسطي" ليبين لنا علاقة التأثير والتأثر بين الأدب والمجتمع ليخفي شخصه على ان قام في هذه الجماعة فتلثم وتلفع، وتوسل بالكتاب وتشفع، وأخذ في وعظ وتحديث وتقديم والخبر وحديث، فأمال النفوس إليه بكل ميل، وأسرعت نحوه بوخذ وذميل، ونحن مع ذلك نألف مواقع بجمعه، ونأنس بعطفه للكلام ورجعه".²

يبدو أن "السرقسطي" كان يرمي من وراء ذلك إلى كشف التناقض الكبير بين سلوك الواعظ الزائف ودعوته الخلقية، بقصد تعرية هذه النماذج والسخرية من سلوكهم المتناقض "وهكذا نرى المقامة الاندلسية تسير في عرض أنواع متبادلة من الواعظ و الدجالين والمشعوذين، وكل من يتخذ الدين سلاحا، إما للوعظ والإرشاد بصدق وصلح وتقوى، وإما سبيلا للإحتيال أموال السذج والبسطاء من الناس، والمقامة في عرض كل هذه الأنماط المتباينة تسخر حيناً وتشف حيناً أخرى عن واقع اجتماعي مزر.

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، مقامات الزومية، ص 172-173.

² - المرجع نفسه، ص 173.

ومن موضوعات الوعظ والإرشاد التي جسدتها المقامات الحث على الزهد في الدنيا ومتاعها، ووصفها بأسوء النعوت والصفات من غدر وخداع وتقلب: "إن خادع هذه الدار لغرور، وإن ظلها لحرور وإن البارد لحميم، وإن البارض لحميم، وإن الناضر لهشيم، وإن الناظر ليشيم، وإنها لمنبت الفجائع، ومعتك الوقائع، وإنمها لخادعة الخداع، جمّة الإغراب والإبداع".¹

يغدو الوعظ أوضح ما يكون عندما يتوجه الواعظ إلى الإنسان السادر في غيه، المنهمك في ملذاته، المنصرف عن النصح الناصحين، فيحذره من الإنخداع بزخرفة الدنيا ومتاعها الزائل فهي خداعة غدارة... "هي الدنيا تفر وتخدع، وأنت لا تترك ولا تدع كانك غافل عما بأهلها تصنع، ألم ترها تأخذو وتمنع، وإذا أعطتك نافهها فإنك لا تشبع وتقع".²

ومن يمعن النظر في المضامين الوعظية التي عاجلتها المقامات، يتبين له ان الترخيب في التوبة و المبادرة لها تعد من أكثر المعاني دورانا على ألسنة الشخصيات المقامية، لتوافر دواعي التوبة وبواعثها من تقدم في السن وقرب الرحيل، فضلا عن إنسجامها مع نزعة الكاتب في الصلاح البشري وترسيخ قيم التربية الخلقية التي تروم تخليص المجتمع مما شاع فيه من تحلل خلقي، ومعنوي، وتطهير النفوس من أدرانها، يقول الكاتب حاثا على التوبة و الندم في أسلوب وعظي عذب وسلس بأخذ شكل خطبة وعظية بليغة: "إلى كم يسوفك الامل والرجاء، ولا بشوقك الممل والإرجاء، والعمر قد إنصلت إنصلات السابق، والشباب قد إنفلت إنفلت الأبق، والغرور يخادعك ويصاديك، والسرور يوادعك وهو يعاديل... حتى إذا هاجمك الحمام الهاجم، وعاجمك الثمام العاجم، أصبحت تقلب طرفا كليلا، وتذبذبت حرفا عليلا تتأسف وأنا لك الرجعي، وتلهف وهيئات منك الحسنى والإعتاب".³ يضيف:

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، مقامات اللزومية، ص42.

² - المرجع نفسه، ص107.

³ - المرجع نفسه، ص233.

هيهات من ذنب المسيء تأسف
 وله على هول الذنوب تعسف
 قألوا طليق في البسيطة سارح
 أني وفي قيد الغواية يرسف¹

عمد الكاتب إلى إختتام مقاماته الوعظية بقطعة من الشعر، وهي طريق سلكها "السرقسطي" في كل مقاماته، ليظل أثره في النفس أوقع والناظر إلى هذه الاشعار نظرة متاملة، يجدها في الغالب أشعارا لا ترقى إلى مستوى الشعر الرفيع ففيها قدر من الثرية والفجاعة و يغلب عليها طابع الوعظ والنصح.

وفي مقامة وعظية أخرى حثّ فيها السرقسطي العابث اللاهي على التوبة والمبادرة لها وعدم تأجيل المتاب، يقول محذرا: "ولا سامك السماء ورافعها، وماسك الدماء ودافعها، إنك في حبال الرواي لمضطرب، ومن مناهل المناي لمقترب، تردها ورد القطا النحال، وتقصدتها قصد الهوى للجها، ثم لا يجيب من عملك كثير ولا قليل، ولا يغيب من ذلك حقير و جليل، وإنه لمحصى في الكتاب محدودن ومستقصى بالحساب معدود."² عبر الكاتب في هذا النص عن أفكاره ومعانيه مستخدما لونا من ألوان البديع، لما له من أثر فاعل في ترتيب العبارة، وإثرائها بالنظم الموسيقي، إذ تضمن هذا النص الثري عددا من صور الإزدواج والجمل المتشابهة القصيرة الفقرات، والمحسنات البديعية بخاصة الطباق الذي منح العبارة نغما مؤثرا يخدم المعنى، ويبرزه في ثوب من الجمال والرقّة.

¹ - المرجع السابق، ص233.

² - المرجع نفسه، ص233.

خامسًا. الفساد القضائي:

يعرف الفساد السياسي على أنه إساءة استخدام السلطة العامة (الحكومية) لأهداف غير مشروعة وعادة ما تكون سرية لتحقيق مكاسب شخصية وتعد البدايات الأولى لهاته الظاهرة المشينة في العصر الأندلسي حوالي القرنين (5-6هـ/10-11م)، ويقترن فساد السياسة بالقضاء، حيث انه إذا صلحت السياسية صلح القضاء، وهذا ما يوحي لوجود علاقة جدلية تربط بينهما ألا وهي علاقة تأثير وتأثر، بحيث أن الفساد السياسي يؤثر في القضاء والقضاء يؤثر فيه، وهذا الجدل القائم هنا يحولنا بالضرورة لبداية الحديث عن موضوعنا الأساسي ألا وهو الفساد القضائي الذي يعد ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الفاسدة لما تحويه من ظلم وبغي وإخلال خلقي للقضاة من أجل مصلحة شخصية او درهم خسيس.

وهذا ما صوره لنا السرقسطي في مقامة "القاضي" إلى لسان الراوي: "السائب بن تمام"، حيث نقل مشهدا من مشاهد الظلم الاجتماعي والفساد والرشوة التي تمثلت في صورة أحد القضاة وكتابه، إذ كشف الكاتب مظالم القاضي وجوره ولجونه إلى الرشوة وجمع المال من الناس بغير حق، إن شخصية القاضي في هذا النص تعكس لنا صورة المجتمع التي عاش فيه الأديب آن ذاك، أي أن الأديب عاش وسط مجتمع تنتشر فيه الرشوة والفساد والظلم، وصور لنا هذا الواقع الاجتماعي عبر أسطر نصه الأديب تصويرا جوهريا لا آليا، وهذا يقودنا بالضرورة للقول بان النص الأديب الذي هو محل كلامنا لانه يعتبر مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي، وهذا ما يجسد المقولة القائلة بان: "المجتمع مرآة عاكسة للمجتمع"، ولكن هذا الإنعكاس يكون جوهريا واقعيا ليس حرفيا، "فالسائب بن تمام" هنا يصف لنا الظاهرة الاجتماعية متمثلة في ظلم القاضي وإمتهانه مهنة الباطل مقابل مبلغ مالي (الرشوة)، بحيث لا ينقل هاته الصورة نقلا حرفيا إلى طبق الأصل، وإنما ينقل لنا نقلا منطقيا لفساد القاضي وتأثيره على المجتمع بطريقة جدلية، وهذا ما يحيلنا إلى ذكر مثال مدغم من النص اللزومي السرقسطي الذي يتحدث عن أحوال القضاء وظلم القاضي.

يقول: "فإنك الذي لا يكفيه قليل ولا كثير، ولا يسلم من ظلمه خسيس و أثير، تساهم في التراث، وتزاحم في الإحتراث، تلمح الدرهم، فتركب الأيهم، وترى الدينار، فتقتحم النار، وأنت في عمرك على شفا جوف هار، وهامة ليل او نهار، تزعم العلم وتدعيه، ولا تفهمه و تعيه."¹

وهذا يذكرنا "بالمقامة القرطبية" التي وردت في كتاب رسائل أندلسية هامة للدكتور "فوزي عيسى" من جامعة الإسكندرية، الذي كان قد إكتشف عدة وثائق نشوها لأول مرة، حيث نجد في هذه الوثيقة ما يؤكد وصف المقامة لأحوال القاضي إذ تدور تلك المقامة القرطبية على فساد أحوال القضاة والفقهاء في قرطبة في عصر ملوك الطوائف إلى حد لم يسبق له مثيل، وكذلك أيضا وثيقة المقامة الشلبية بنفس المصدر.²

ويرسم لنا أيضا صورة الأعوان المساعدين الذين يعملون تحت إمرة هؤلاء القضاة المفسدين اللذين يسعون وراء الرشوة وعمل الباطل، صورة مليئة بالعتاب تتخللها جملة من الإتهامات المتمثلة في دورهم الكبير في تفشي هاته الظاهرة وفي إستمرار الباطل والظلم والتهكم القضائي ويوجه لهم أصابع الإتهام لانهم يعتبرون الأداة التي يستعملها لمواصلة ظلمه وفساده. يقول: "يا أخا المجان بلغني انك تساهم القوم في الغدوات والعشوات، وتسامح في القهوات والنشوات، وإن لك على ذلك حذرا، ما سمعت منك فيه عذرا، وما الذي حملك على ذلك وجزاك، وخلصك من هذه التبعة وبرأك؟ وهلا عرفتنا بما صنعت وأديت ما جمعت ومنعت، تختص به دوننا إختصاصا، ولا براك ولا نجاك، ولا أطبعك، ولا رجاك، إلا ان تسلم كل ما في يديك، وتتخلى عما لديك، وإلا فالحديد والسوط الجديد، حتى تعلم ذنوبك، وتتجوع من الذل ذنوبك، قال: فتضائل لديه تضائل الصيب، وأظهر لوثه

¹ - المرجع السابق، ص 227-228.

² - يُنظر: فوزي عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، ط2، دت، ص138، وما بعدها ص 160.

الغيب، وأعرب وأعجم، وردد وجمجم، وقال: إن الذي نص من ذلك وحصل، قد خلص إليك ووصل، على يدي الكاتب، وقد زعم انه من التراب".¹

ثم يذهب بنا السرقسطي لرسم صورة أخرى تزيد من تأنيب وتقبيح صورة القاضي الظالم ألا وهي القاضي العادل العفيف الذي يتحلى بصفات العدل والشهامة والتفاني في العمل لكي يدعم رأيه ويزيد من شدة عتاب ولوم القاضي الظالم، فالقاضي العادل هو القاضي المأثور الحكيم اللبق، المرغوب، الذي يقف وراء عمله باحثاً عن الأدلة اللازمة سامعاً أقوال الأطراف المدعية ليخرج بحكم صحيح صادق خالي من الظلم و التهكم، هذا ما نجده في إحدى مقامات السرقسطي التي يتعرض السائب فيها المتوفي إلى الإحتيال من ثلاثة رجال يدعون أن السائب كان عبداً لأبيهم المتوفين وأنه هرب منهم، فيخاطب السائب القاضي قائلاً: "ايها القاضي الديان، بالذي امضي حكم الحاكمين، أني لحر وابن أحرار اعيان، لا من بني العبيد، ولا من بني القيان، إنما إلى أب كماء المزن، وحسب كروض الحزن".²

يبين لنا هذا المقطع مدى أريحية السائب في حديثه مع القاضي، وسماع القاضي له دليل على نبهه وشهامته برغم من كل تلك الإدعاءات التي كانت تحوم حوله، ويمكن الفهم أيضاً من هذا النص الذي امامنا ان "السرقسطي" أراد ان يبرز رؤية أخرى بخلاف القاضي العادل ألا وهي تفشي ظاهرة إستعباد الناس الغرباء، وإذلالهم وقهرهم بالإتهامات والإلتباسات الباطلة، فهاته المقامة تبين لنا المعنى الحقيقي للإسترقاق والذل من طرف البشر، و"السائب بن تمام" تعرض لمثل هاته الظاهرة السالفة ذكرها، والتي تقول بانه إتهم بكونه عبدا لرجل متوفى اب لثلاث رجال وانه هرب منهم.

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، المقامة اللزومية، ص 226-227.

² - المرجع نفسه، ص 504.

ومن خلال كل ما سبق نتوصل إلى ان الفساد القضائي من القضايا الاجتماعية الوخيمة التي تشير إلى سوء اخلاق القضاة من خلال تلقي او منح الرشاوي والنطق بالاحكام الباطلة والتحيز في الإستماع.

سادساً. ظاهرة الإنحلال الخلقي:

من الظواهر الاجتماعية التي تحدث عنها السرقسطي في مقاماته ظاهرة الإنحلال الخلقي حيث تحدث فيها عن السلوكيات الحاصلة في المجتمع والتي تنعكس عليه.

وتعد ظاهرة التحلل الخلقي من الظواهر الاجتماعية التي عاجلها السرقسطي، ذلك أن المقامة تعد مرآة صادقة تعكس الحياة الاجتماعية في مختلف أبعادها وأشكالها، فالقارئ المتمعن يكتشف أن الأديب يصور جانباً من جوانب المجتمع وهو جانب التحلل الخلقي، الذي يعد أثراً من الآثار التي ورثها المجتمع المرابطي عن مجتمع عصر ملوك الطوائف الذي سبقه، ففي إحدى المقامات الوعظية يستمع بطل المقامة الذي تبدى في صورة واعظ إلى اعتراف ذاتي لأحد المجان يذكر فيه ما ارتكب من أوزار، ويندم على ما اجترح من آثام، ويطمع في رضا الله ومغفرته،¹ يقول: "... أنا من جملة نقارف الذنوب ، وترجو من فضل الله تعالى السجل والذنوب ، وتواقع الخطايا ، وتركب الجرائم رواحل ومطايا ، ثم ترجو من ربها المواهب والعطايا ، سمعنا تضرعك وإبتهالك، فخشينا أن أمراً ما هالك، فجئنا نرجو يمن جوارك ، وبركة حوارك"². يتحدث في هذه المقامة عن صحوة الصغير وعن ندمه الشديد من الامور التي إقترفها في حق نفسه، وعن هجر كل الذنوب والمعاصي ليعيش حياة سليمة خالية من السلوكيات المنحرفة.

ومن الظواهر الاجتماعية التي تطرق إليها السرقسطي ظاهرة الطبالة الكاذبة المختلطة بالدجل، فقد برر صورة الحياة الاجتماعية وأحوال الناس فيها.

¹ - حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية للسرقسطي.

² - أبي الطاهر السرقسطي، المقامات اللزومية، ص188.

يصور السرقسطي نمطاً آخر من أنماط السلوك البشري، إنه صاحب التوبة الكاذبة أو المترددة، حيث ينكث فيها التائب وعده ، ويعود إلى عبثه ومجونه " كنت قد ودعت الصبا والصبابة، وترشفت الشفافة منها والصبابة ، واعتزمت الإنابة والإقلاع ، وحنوت على التوب الجوانح والأضلاع .. حتى إذا ساورتني سورة الجريال، ولقحت حرب صبابتي عن حيال ، فراجعتها بعد التطليق ، وقابلت عبوسها بوجه طليق.¹

نجد ضمن مقاماته حديثاً لطيفاً عن هذه المشكلة على شكل مقامة بين فيها ان هذه الممارسات كانت متفشية وتعاني منها المجتمعات في الاندلس، وتحدث فيها عن إعتقاد الكثير من العامة بقدرة هؤلاء الدجالين على المعالجة، ولجوئهم إلى من يدعون تسخير الجن، ويتعين بهم في تحقيق آلام مريضه فمن يتأمل هذه المقامات سيرى ان مقصدها النقد الصادر من مرارة ورفض للواقع، وأنها نقد لسلوكيات هذه الشخصية وتصرفاتها.²

فقد تناول الكاتب في مقاماته ظاهرة زهد الجحان التي عرض فيها حياة الترف ولجوء بعض الشباب غلى الجحون وغيرها من العادات السيئة ليعيشوا حياة البدخ والترف، وهو بذلك يوثق لظاهرة إجتماعية مقيمة تبين مدى جهل المجتمع بالحلال والحرام.

وقد صورت المقامات جانباً سلبياً من الحياة الأندلسية عرضت التناقضات السلوكية للأفراد فصورت حياة العبث والجحون التي إنغمس فيها بعض الاندلسيين، وصورت جانباً إيجابياً حيث عرضت صوراً تمثل النزعة الدينية القوية لدى الافراد في إقبالهم على الزهد والتعبد، والحرص على حضور الحلقات الدينية التي كانت يعقدها اهل التقوى.³

يوضح لنا الكاتب كيف فطن ضمير في نفوس الحية اليقظة، يصور لنا ما يدور في نفوسهم من صراعات بين التقوى و الملذات الحياة، بين التوبة من الذنوب، وجري وراء الحياة الفانية. يقول: "أقمت اخبط من ليل الغواية داجيا،

¹ - حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الإجتماعي في المقامات للسرقي.

² - مسلم عبيد الرشيد، ثورة الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية في المقامات الاندلسية، ص10.

³ - حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الإجتماعي في المقامات للسرقي.

واستصحب من خذن الصباة مداجيا، وأسير في ميدان البطالة واضعا اوتاجيا إلى ان نفذ العمر والوفر، ودار السماك والغفر، فأرمنت إقلاعا، ورجوت إضلاعا وحذيت على التوبة جوانح وأضلاعا، وبقيت لا يقربي قرار، ولا يعتادني نت النوم إلا غرارا، ولا ينفح من الروض رند ولا عرارا، تفكرا في الموت، وحذرا من الفوت، وارتقبا للصوت".¹

فهو ينتقد فيها من طرف خفي سلوك هؤلاء الدجالين الذين يستخفون بعقول الناس ويتغنى هرون امامهم بانهم اطباء حاذقون يستطيعون شفاء المرضى، فهو يكسب أساليبهم وحيلهم ويفضحها، ويؤكد أنها ادعاء، وأنها لا تشفي الأمراض والعلل، وهو بذلك يوثق الظاهرة الاجتماعية مقيمة، لانه يصور مدى إخداع الناس بها، وإعتقادهم بجدواها مع أنها تحتوي خيالات ساذجة واكاذيب بينة²، وهذا الأمر إذا كان يدلّ على شيء فهو يدلّ على جهل الناس ونقص ثقافتهم وإدراكهم للأشياء، فلو كانوا يستعملون العقل بطريقة سليمة لما صدّقوا مثل هذه التفاهات.

¹ - أبي الطاهر السرقسطي، المقامات اللزومية، ص 190.

² - مسلم عبيد الرشيد، ثورة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المقامات الاندلسية، مقامات لسان الدين الخطيب والسرقسطي أمودجا، ص 11.

خدمة

إنّ المتأمل في مباحث هذا الموضوع وانطلاقاً من الدّراسة العلميّة التي قمنا بها في رحاب (البعد الاجتماعي والمقامات اللزومية للسرقسطي)، يجدّ هذا البحث يفضي إلى مجموعة من النتائج العامّة، يُمكنُ إجمالها على النحو الآتي:

- المقامة جنس أدبي شبيه بالقصّة يقوم على السجع.
- تأثر السرقسطي بالحريري، وهذا ما جعله يتبع أسلوبه في المقامات.
- تعدّد المقامات اللزومية أشهر مقامات السرقسطي، بحيث تحمل خمسون مقامة.
- عمل المنهج الاجتماعي على محاولة الكشف عن الأبعاد الحقيقة للواقع، وتحديد العمل الفني، فكان من الطبيعي أن يكون اختلاف في وجهات النظر، على اعتبار أن المنهج يقوم على مجموعة من الخلفيات المعرفية المتنوعة.
- ترجع إرهابات الأولى للمنهج الاجتماعي إلى الغرب ، فهم كانوا سابقين في ابتكاره، وبعدها نجده انتقل الى العرب الذين تأثروا به وهو ما جعلهم يعتمدون عليه في أعمالهم الادبية الثرية.
- يعتبر عنصر الكدية من بين اهم العناصر في مقامات الاندلسيين، إذ ظهر عنصر الكدية عندهم جليا بصور مختلفة و مبتكرة.
- صوّرت المقامة جوانب مختلفة من المجتمع الأندلسي وعالجت الكثير من القضايا الاجتماعية والأحداث الهامة في ذلك العصر، وهو الأمر الذي قام به السرقسطي في مقاماته اللزومية؛ حيث صوّر لنا مختلف المظاهر الاجتماعية التي سادت في تلك الفترة، مثل: (ظاهرة الفساد القضائي، الانحلال الخلقي... وغيرها).
- برزت الأبعاد الاجتماعية بشكل واضح في مقامات السرقسطي على مستوى كلّ المجالات سواء تعلّق الأمر بالمجال الاجتماعي، أو السياسي، أو الثقافي، فقد عبّر عن موقف أصحاب المقامات التي كانت سائدة في تلك المجتمعات.
- تميزت المقامات اللزومية بندرة الشخصيات التي كانت تحمل في ثناياها شخصيتين أساسيتين فقط هما: (السائب ابن تمام)، و(الشيخ أبو حبيب) الذي يمتلك عدّة شخصيات متغيرة على حساب دوره في المقامات.

- تنوع المقامة الأندلسية بما يتلاءم مع ظروف المجتمع ونتاجه الفكري ولم تقف عند حدود الوعظ والإرشاد بل تناولت الوصف بشكل رئيسي، والبحث في الاغراض الشعرية كالممدح والمهجاء والفخر والنقد الأدبي والنقد الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع

أ. القرآن الكريم.

ب. المصادر والمراجع:

• العربية:

1. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، ط2، 1979م.
2. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979م.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
4. أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عبّاس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1978م.
5. أبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي: المقامات اللزومية، تح: حسن الوراكلي، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، د ط، 2006م.
6. أبي العبّاس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة- مصر، د ط، 1944م.
7. الأصمعي، الأصمعيات، تح: محمّد حمود، دار الفكر اللبناني-بيروت- لبنان، ط1، 1998م.
8. أنجيل جانثالث بالثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ط، د ت.
9. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2006م.
10. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة-، مصر، د ط، د ت.
11. حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، الأدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2005م.

12. حمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1971م.
13. حمدون غسان، تفسير من نسمات القرآن، مراجعة جميل غازلي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1406هـ.
14. حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجليل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
15. داوود عطاشة، قضايا النقد العربي، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م.
16. رجاء عيد، فلسفة الإلتزام في النقد الأدبي بين النظري و التطبيقي، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، د ط، 1988م.
17. ركان الصديقي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، 2011م.
18. سامي يوسف بوزيد، تتوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2012م.
19. السيد الحسني، نحو نظرية اجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ت، د ط.
20. سيف الدين سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، تونس، ط1، 2010م.
21. شكري الماضي، في نظرية الادب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
22. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر-بيروت- لبنان، 1968م.
23. شوقي ضيف، الفن القصصي المقامة، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت.
24. شوقي ضيف، المقامة، دار المعرفة- القاهرة- مصر، 1954م.

25. صالح زياد، آفاق النظرية الادبية: من المحاكاة إلى التفكيكية، دار التنوير للطباعة و النشر، تونس، ط1، 2016م.
26. صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث، قضايا ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426هـ.
27. صلاح فضل، في النقد الأدبي، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2007م.
28. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1997م.
29. العباس بن مرداس السلمي، ديوان العباس بن مرداس السلمي، تح: يحيى الجبوري، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط1، 1991م.
30. عبد الله بن علي بن ثقافة، بحوث في الادب الاندلسي، الشكوى من العلة في أدب الاندلسي، مكتبة التوبة، ط1، 1996م.
31. عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1980م.
32. عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المختالين، التكوين للتأليف والترجمة والنشر-دمشق- سوريا، ط1، 2008م.
33. عبد الوهاب شعلان، المنهج الغمتماعي وتحولاته من السلطة الأيديولوجيا غلى فضاء النص، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، دت.
34. عثمان موافي، دراسات في النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، د ط، 2000م.
35. عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، د ط، 2008م.

36. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين - القاهرة - مصر، ط1، 1982م.
37. فوزي عيسى، رسائل ومقامات أندلسية، مطبعة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط2، دت.
38. فيكتور الكك، بديعيات الزمان، المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان، د ط، 1960م.
39. قصي عدنان سعيد الحسيني، فن المقامات الأندلس، نشأته وتطوره، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1999م.
40. مبارك مارت، مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، مطبعة الترقى، دمشق، 1968م.
41. محمد سعيد فرح، علم اجتماع الأدباء، الأردن، ط1، 2007م.
42. مصطفى السعدين، البيئات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مطبعة رواج الإعلان - الإسكندرية - مصر، د ط، 1987م.
43. نور المرعي الهدروسي، السرد في مقامات السرقسطي، دار الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م.
44. وليد قطاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م.
45. يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، 2004م.
46. يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979م.
- المترجمة:
47. دفيد ديتيس، مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، تر: يوسف نجم، دار صادر - بيروت - لبنان، ط1، 2007م.
48. غولسان لوسيان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الادبي، ترجمة جماعية، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، د ط، 1984م.

49. لوسيان غولدمان وآخرون، مقدمات في سوسولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عروكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993م.

50. لوكاتش، دراسات في الواقعية الأوروبية، تر: أمير إسكندرن الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د ط، 1972م.

51. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987م.

ج. المجلات:

52. مسلم عبيد الرشيد، صورة الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية في المقامات الأندلسية- مقامات لسان الدين الخطيب والسرقسطي انموزجا، مجلة الآداب - جامعة المستنصرية، المجلد 640، العراق، 2020م.

د. الرسائل الجامعية:

53. بن فايدة خالدية، بلهلول ربيعة، الكدية واهلها ببلاد الاندلس في العصر الوسيط، مخطوط مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون-تيارت- ، 2019-2020م.

54. جمانة إبراهيم داؤد، صورة المجتمع في المقامات الأندلسية، مخطوط رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق- سوريا، 2016م.

55. محمد السيد احمد حسن، صورة المجتمع الأندلسي في المقامات اللزومية للسرقسطي، مخطوط بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الادب العربي، النقد الادبي ، كلية اللغات ، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2019م.

هـ. المواقع والروابط الالكترونية:

56. باسل مولود الطائي، سفانة شعبان الصافي، تطور المقامات في الأدب الأندلسي - السرقسطي أنموذجا-

بحث منشور على الشبكة العنكبوتية:

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2017/05/14/436449.html>

57. حمدان عبد الرحيم حمدان، البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية للسرقسطي، بحث منشور على الشبكة

العنكبوتية:

[/https://alantologia.com/page/21991](https://alantologia.com/page/21991)

فهرس الموضوعات

الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-د	مقدمة
(24 -2)	الفصل الأول: ماهية المنهج الاجتماعي ومفهوم فنّ المقامة
2	✓ توطئة
3	1. نشأة المنهج الاجتماعي وعلاقته بالمنهج النقدي
3	أولاً. المنهج في اللغة
3	ثانياً. مفهوم المنهج الاجتماعي في الدرس النقدي
5	ثالثاً. نشأة المنهج الاجتماعي وتطوره
7	رابعاً. علاقة المنهج الاجتماعي بالمنهج النقدي
11	2. المنهج الاجتماعي في الدراسات الغربية والدراسات العربية
11	أولاً. أهمّ روّاد المنهج الاجتماعي لدى الغرب
16	ثانياً. أهمّ روّاد المنهج الاجتماعي لدى العرب
19	3. مفهوم فنّ المقامة
19	أولاً. المعنى اللّغوي للمقامة
21	ثانياً. المفهوم الاصطلاحي للمقامة
22	ثالثاً. نشأة المقامة

(26- 54)	الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية في لزوميات السرقسطي
26	✓ توطئة
27	1. مقامات السرقسطي (اللزومية)
27	أولاً. نبذة عن السرقسطي (ت538هـ)
28	ثانياً. المقامة اللزومية
29	2. نظرية الإنعكاس في الأدب
31	3. البعد الاجتماعي في مقامات السرقسطي
31	أولاً. ظاهرة الكدية
38	ثانياً. العادات والتقاليد
42	ثالثاً. ظاهرة الشكوى
45	رابعاً. ظاهرة الوعظ والتوجيه والتعلم
49	خامساً. الفساد القضائي
52	سادساً. ظاهرة الانحلال الخلقي
56	خاتمة
(59- 64)	قائمة المصادر والمراجع
(66-67)	فهرس الموضوعات

ملخص البحث:

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: " البعد الاجتماعي في مقامات السرقسطي (ت 538هـ) -دراسة نماذج مختارة- "، فسعت إلى تسليط الضوء على مظهر من مظاهر الأدب الأندلسي من خلال التركيز على فنّ المقامة، وأخذت من المقامات اللزومية للسرقسطي مجالاً للدراسة التطبيقية، وهي في الحين ذاته تنظر إلى المنهج الاجتماعي وما تضمّنه من مبادئ نظرية الانعكاس محاولةً رصد انعكاس الواقع في لزوميات السرقسطي، واستظهار أبرز خصائص الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة الزمنية.

الكلمات المفتاحية: البعد الاجتماعي، نظرية الانعكاس، الأندلس، المقامات اللزومية، السرقسطي.

Summary:

This study titled "The Social Dimension in Al-Sarqastī's Maqāmāt (538 AH) - A Study of Selected Models -" aims to shed light on a facet of Andalusian literature by focusing on the art of maqāmah. It takes the essential maqāmāt of Al-Sarqastī as a field for applied research, while considering the social approach and the theoretical principles of reflection theory in an attempt to observe the reflection of reality in the luzūmiyyāt of Al-Sarqastī's works, and to highlight the prominent characteristics of social life in that time period.

Keywords: Social dimension, reflection theory, Andalusia, luzūmiyyāt, Al-Sarqastī.